ليبيا بين الاستحقاقات الانتخابية وإعادة الإعمار أو الانفراج الأمني

ليدرز العربية

Leaders

العدد 28 • السعر : 2،5 د.ت • أفريل 2018

حصري

الحالة الدينية في تونس

الشاذلي القليبي: بورقيبة والعمل الثقافي

بقلم عبد الحفيظ العرفاوي

حتّى ننقذ المؤسّسات الصّغرى والمتوسّطة

ما عدا قلّة من المؤسّسات الصّغرى والمتوسّطة استطاعات أن تبني قصص نجاح لافت، متّخذة لها مواقع في الأسواق داخل تونس وخارجها، تخوض اليوم أغلب المؤسسات من هذا النوع صراعا مريرا من أجل البقاء، في ظلّ أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية هشّة، في حين باتت الصعوبات الاقتصادية التي تعتري سير العديد منها تهدِّد كيانها بالزّوال وتعرّض إطاراتها وموظّفيها وعمّالها إلى البطالة والضّياع. تعاني هذه المؤسّسات من تدنّي قيمة رأس مالها، وارتفاع مديونيتها، وفي غالب الأحيان من تأخّر حرفائها في سداد مستحقاتها، زِد على ذلك التنافس غير الشريف الناجم عن الاقتصاد الموازي وضغط الجباية وتنامي النزعة المطلبية لدى أجرائها.

ولعلّنا لا نبالغ في شيء إذا قلنا إنّ إنشاء مؤسّسة هذه الأيّام وتوفير شروط سلامة انطلاقتها لهو من قبيل العمل البطولي الذي لا يقبل عليه إلّا من يتحدّى المخاطر، وإنّ ضمان ديمومة المؤسّسة ضرب من الجهاد اليومي، في حين يمكن اعتبار تحقيق الربّح وتوسيع مجال النشاط والزيادة في عدد الانتدابات إنجازا ذا بال يستحقّ عليه صاحبه التحيّة والتّقدير. فلا غرو أن يعدل 80 بالمائة من حاملي أفكار المشاريع عن وضعها موضع التّنفيذ بالنّظر إلى ما يلاقونه من صعاب ويتجشّمونه من مشاقّ وذلك حسب مركز المسيّرين الشبّان، إضافة إلى أنّ عدد المؤسّسات الصّغرى والمتوسّطة التي تغلق أبوابها بعد أقلّ من سنتين من النشاط يظلّ مرتفعا.

ولا مناص من أن نقرّ بإنّ نسبة هامّة من المؤسّسات الصّغرى والمتوسّطة التي تمثّل 80 بالمائة من النّسيج الصّناعي للبلاد هي اليوم في خطر، وإنقاذها أضحى أولوية كبرى، قصد تجنّب كوارث، كتلك التي حلّت بقطاع حيوي كقطاع النسيج، إذ أفلست قرابة 400 مؤسّسة ، ممّا تسبّب في فقدان 40 ألف موطن شغل. ونخشى أن يكون ما خفي في هذا الأمر، أعظم، في غياب إحصائيات رسميّة محيّنة يتسنّى للرّأي العام الإطّلاع عليها من خلال وسائل الإعلام.

وفي الحقيقة، لم تغفل الحكومة عن السعي إلى تطوير التشريع الخاصّ بإنقاذ المؤسّسات التي تمرّ بصعوبات اقتصادية من خلال القانون المؤرّخ في 29 أفريل 2016 المتعلّق بالإجراءات الجماعية، غير أنّ هذا القانون لا يخلو، في نظر أهل الاختصاص، من نقائص في مستوى مرحلة الوقاية من الإفلاس والإبلاغ عن بوادر الصّعوبات الاقتصادية، إذ حدّ من صلاحيات لجنة متابعة المؤسّسات الاقتصادية التي لم يعد رأيها ملزما بشأن خطط إعادة الهيكلة التي يعدّها المتصرّفون القضائيون، بينما كان من المفروض أن تضطلع بدور جوهريّ في إسداء المشورة لا سيّما بخصوص ملفّات دقيقة ومعقّدة، خاصّة وأنّها تضمّ خبرات من وزارات مختلفة. كما بادرت الحكومة بإحداث خطّ اعتماد دعم إعادة الهيكلة المالية للمؤسّسات الصّغرى ضمن قانون المالية لسنة 2018 وقد صدر مؤخّرا أمر حكومي يتعلّق بضبط قواعد تنظيمه وتسييره وشروط وأساليب تدخّله.

آليات خطّ الاعتماد هذا معقّدة، علاوة على أنّ قيمته والبالغة 100 مليون دينار هذه السنة لا تفي بحاجيات إعادة الهيكلة المالية للمؤسسات التي تمرّ بصعوبات اقتصادية. مثل هذه الإجراءات-على أهميّتها- تبقى غير كافية إذا لم تسن سياسية جريئة، متكاملة الأبعاد للنهوض بالمؤسسات الصغرى والمتوسّطة وحمايتها من مخاطر الإفلاس والاندثار من جهة والتشجيع على بعث مؤسّسات جديدة على قواعد صلبة من جهة أخرى، وذلك من خلال تيسير سبل التمويل، فمن المهمّ أن تخصّص البنوك جانبا من مواردها المالية لهذه المؤسّسات وأن يُعَجَّل بإنشاء بنك الجهات، فضلا عن تعيين مخاطب وحيد للمؤسّسة يتمتّع بالصّلاحيات اللازمة ليمدّ لها يد المساعدة ويقترح حلولا لمشاكلها ويوجّهها نحو دائرة القرار ويمهّد لها طريق الثّبات والتألّق .

وغنيّ عن البيان أنّ من عوامل تطوّر الاقتصاد الوطني حيويّة قطاعه الخاصّ ورخاء مؤسّساته، مهما كان حجمها، فهي منتجة للثّروة ورافعة للنموّ ومصدر لخلق مواطن الشغل.

ع.ه

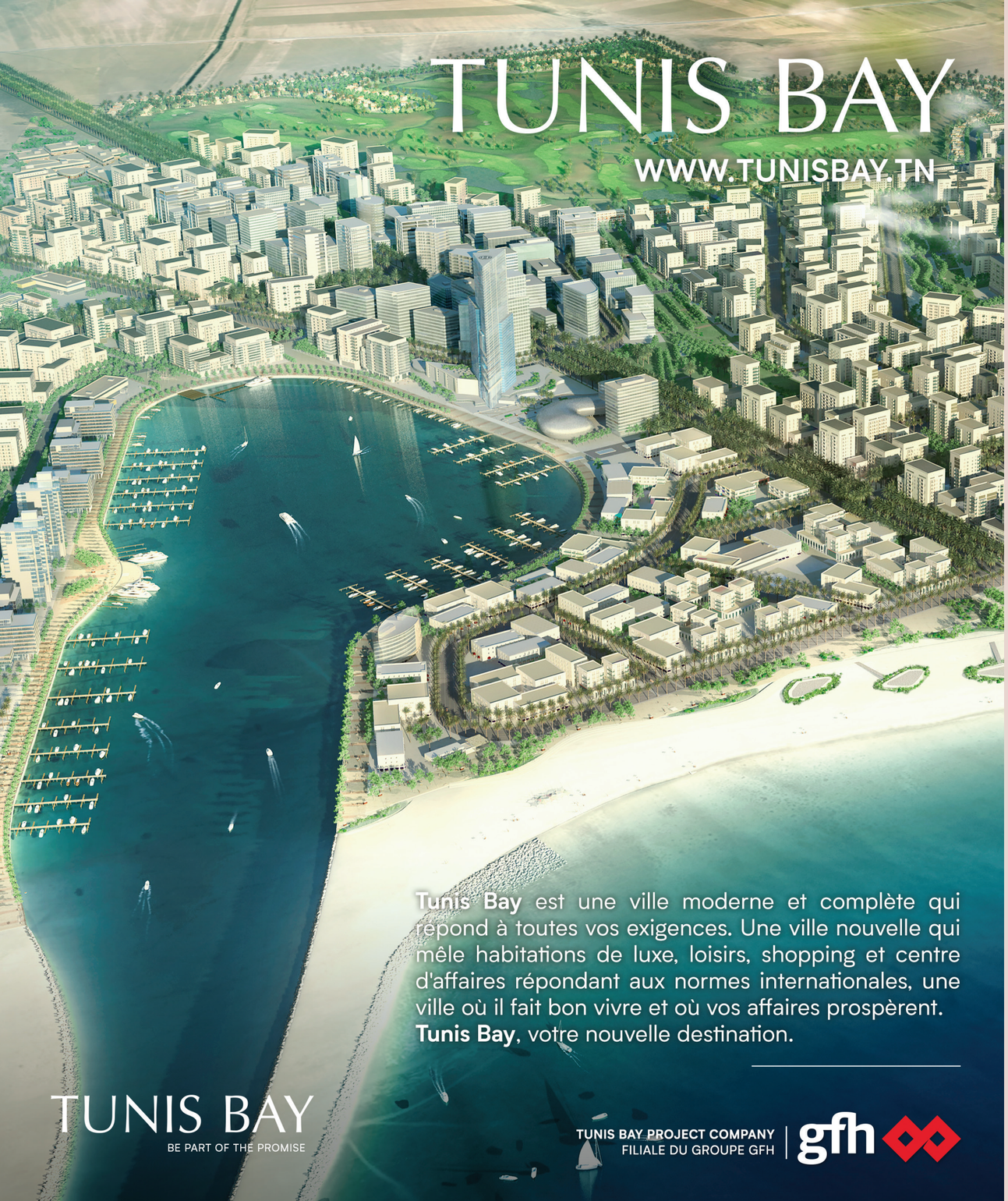

الفهرس

الافتتاحيّة

• حتّى ننقذ المؤسّسات الصّغرى والمتوسّطة 1
عبد الحفيظ الهرقام

شؤون وطنيّة

• في البرازيل سجنوا رئيسا ونحن عاجزون عـــن إيقاف وزير سابق 10
رشيد خشانة

• حصري: الحالـــة الـدينيـــة فـي تـونـس 12
عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشّابي

• المشهد الدّيني التونسي بأبـــعاده الثلاثة 30
د. احميدة النّيفر

• ألـفة يـوسـف مـسـلـمة محـيّـرة 32
د. الحبيب الدريدي

• بورقيبة والعمل الثقافي 40
الشاذلي القليبي

• ماذا فعل التّونسيّون بعد بورقيبة ؟ 46
د.آمال موسى

مجتمع

• في توصيف الشّعبويّة 48
منجي الزّيدي

• يوميّات مواطن عيّاش: صيّاد وحوتو م المرشي! 50
عادل الأحمر

ليدرز Leaders العربية

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير

احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللّطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر • المختار المستيسر • عادل كمّون• عادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية • عبد الدايم الصماري • حنان زبيس • خالد الشابي • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحـمـد الـشـارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صـور
ليـدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71
www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

في الوقت الذي كانت فيه دبّابات الجيش العربي الليبي ومدافعه تدكّ مواقع المجموعات الإرهابيّة القادمة من التشاد والسودان في عاصمة الجنوب سبها وتعلن بذلك انقلاب الصورة الجيوستراتيجية في البلاد والتحاق إقليم فزّان بمناطق نفوذ المشير خليفة حفتر←

في الحقيقة... خامرتني فكرة هذه الإطلالة منذ فترة، وبالتّحديد منذ أن نجحت سلطنة عُمَان في أكتوبر 2016 في الإفراج عن الرّهينة تونسية الأصل فرنسية الجنسية نوران حواص الموظّفة في اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تمّ اختطافها واحتجازها في اليمن طيلة عشرة أشهر... ←

صدر هذه الأيّام عن دار الجنوب للنشر كتاب باللغة الفرنسية من تأليف السيد الهادي البكّوش وعنوانه «En toute franchise» (بكلّ صراحة)←

شؤون عربيّة

- مسارات الأزمة في ليبيا بين الاستحقاقات الانتخابية وإعادة الإعمار أو الانفراج الأمني — 54
  د. رافع الطيّب
- إطلالة خاطفة على سياسة سلطنة عمان الخارجية — 58
  محمّد ابراهيم الحصايري

شؤون دوليّة

- روسيا ـ الولايات المتّحدة : نحو حرب باردة جديدة؟ — 60
  حنان زبيس

ثقافة وفنون

- الخطّاط التونسي عمر الجمني يفوز بجائزة الفنون الحديثة والمعاصرة في ملتقى الشارقة للخط — 62
- عن الشّعر والسّلطة والثّورة — 64
  عامر بوعزّة
- مدينة الثّقافة : حضر المنجز وغاب التّصوّر — 66
  فوزيّة بلحاج المزّي
- مصطفى زاد،كوميديا سوداء ساخرة بنمط إخراج مسرحي — 68
  د. محمّد ناظم الوسلاتي

إصدارات

- كتاب الهادي البكوش «بكلّ صراحة» — 74

بطاقة

- الحساب والمنطق — 76
  الصحبي الوهايبي

البنك الوطني الفلاحي
BNA

BNA C@sh Management
Reporting, Cash Management, Paiements

Votre banque en ligne par excellence

La Solution **BNA C@sh Management**, proposée en Pack Business et Pack Business Plus, offre aux Entreprises et Groupes d'Entreprises, une panoplie d'avantages et de services personnalisés leur permettant le pilotage et la gestion en ligne de leurs flux de trésorerie et de leurs activités en Tunisie et à l'international, en temps réel et en toute sécurité.
BNA C@sh Management permet la gestion des droits d'accès et de validation des différentes opérations et transactions effectuées.

Pack Business
- Consultations de comptes, placements, Engagements ainsi que les opérations monétique.
- Gestion du portefeuille financier et commercial
- Téléchargement des documents bancaires et comptables
- Exécution des virements ponctuels et des virements de masse

Pack Business Plus
Outre les services du Pack Business, d'autres fonctionnalités sont offertes :
- Consultation des Remises et des Crédits Documentaires
- Téléchargement des Swift
- Exécution des virements en devises
- Consultation des soldes et des mouvements AVA
- Commande de Devises

Pour plus d'informations, consultez notre site web **www.bna.tn** ou envoyez un mail: **cash.management@bna.tn.**
Adresse : 5 Rue de Syrie - 1002 Tunis - Phone : +216 71 831 000 / + 216 71 831 200 - BNAphone : 88 40 00 20 - Email : bna@bna.tn - N° Vert : 80 100 505

ماذا اقترحت الحكومة لإصلاح الصناديق الاجتماعية؟

تواجه الصناديق الاجتماعية منذ أكثر من عشرين سنة صعوبات ماليّة ما فتئت تتفاقم حتّى أصبحت تهدِّد بصفة جديّة استمرار إسداء منافع الضمان الاجتماعي لفائدة منظوريها في ظلّ ضغوطات حادّة ومتصاعدة على مستوى السيولة وتأخّر عملية الإصلاح للحدّ من هذا التدهور.

وفق أرقام الحكومة، سجّل الصندوق الوطني للتقاعد والحيطة الاجتماعية نتائج سلبية ما انفكّت تتنامى لتبلغ 346 م د سنة 2015 ومن المتوقّع أن تصل إلى 441 م د سنة 2016 و645 م د سنة 2017، وذلك دون اعتبار مساهمة الدولة بـ 300 م د سنة 2016 و500 م د سنة 2017 ، بينما كان هذا العجز في حدود 32 م د سنة 2005.

وبخصوص واقع فرع الجرايات لنظام الأجراء في القطاع الخاصّ غير الفلاحي، سجّل الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي نتائج سلبيّة ترتفع باستمرار لتبلغ 443 م د سنة 2015 ومن المتوقّع أن تصل إلى 470 م د سنة 2016، بينما تمّ تسجيل نتائج إيجابية سنتي 2009 (6 م د) و2010 (7 م د).

عقدت اللجنة الفرعيّة للحماية الاجتماعية المتكوّنة من ثلاثة أطراف (الحكومة والمنظمة الشغيلة ومنظمة الأعراف) أكثر من عشرين اجتماعا خلال سنتي 2016 و2017 لدراسة الخيارات الممكنة لإصلاح أنظمة التقاعد وقامت باعتماد الوثيقة المتعلّقة بتشخيص الوضعية الحالية للصناديق الاجتماعية وأسباب انخرام توازناتها المالية والشروع في دراسة خيارات الإصلاح. واقترحت الحكومة، على مستوى مراجعة المقاييس المعتمـدة لخلاص الجراية في القطاع العمومي، الترفيع في سنّ التقاعد مع اعتبار سنة 65 كهدف ومراجعة الأجر المرجعي باعتماد معدّل أجور غير محيّنة للسنوات الثلاث الأخيرة بداية من جانفي 2018 والخمس سنوات الأخيرة من جانفي 2019 واعتماد نسبة 2 % عن كلّ سنة عمل بداية من سنة 2018 وتطبيقها على الإحالات على التقاعد المحدثة بعد صدور القانون، وذلك فيما يخصّ مردودية سنوات العمل.

وعلى مستوى مراجعة المقاييس المعتمدة لخلاص الجراية في القطاع الخاصّ اقترحت الحكومة الترفيع في سنّ الإحالة على التقاعد حسب نفس التمشّي المقترح للقطاع العمومي وإلغـاء نظام التقـاعد المبكّر لأسباب اقتصادية وإنشاء صندوق ضمان للمفصولين عن العمـل لأسباب اقتصادية، وتغيير الطريقة الحالية لمراجعة الجرايات واعتماد الطريقة المقترحة للغرض في القطاع العمومي، بالإضـافة إلى الترفيع في نسـب المساهمات باعتماد نفس النسب المقترحة للقطاع العمومي.

اختلاف وجهات نظر الأطراف الثلاثة المعنيّة أخّر التوصّل إلى القاسم المشترك المنشود، فمتى يحسم في هذا الملفّ الهامّ لإنقاذ الصناديق الاجتماعية وضمان ديمومة إسداء منافعها لفائدة منخرطيها؟

«الحلم والمنعرج الخطأ» كتاب للأستاذ عبد السلام القلّال

دفع الأستاذ عبد السلام القلّال إلى المطبعة بكتاب عنوانه «الحلم والخطأ». والمؤلّف المولود في مدينة صفاقس سنة 1932 مناضل دستوري منذ الصّغر وناشط في الحركة الطلابية، ضمن الاتحاد العام لطلبة تونس، تحمّل عدّة مسؤوليات في الحزب وشغل خطّة وال في أوج حكم بورقيبة في الكاف من جويلية 1964 إلى سبتمبر 1969، تاريخ نقلته بمثل خطّته إلى ولاية القصرين، قبل أن ينسحب من المسؤولية في سبتمبر 1970. ومن خلال مبادرته بتأليف الكتاب، حرص الأستاذ عبد السلام القلّال -الذي اشتغل بالمحاماة بعد هذه التجربة السياسية- على تقديم شهادته للجيل الحالي وللأجيال القادمة وتقييمه لعشريّة الستينات، مرحلة الاشتراكية الدستورية والتعاضد التي كان فيها فاعلا. وقد أراد أن يولي هذه المرحلة المهمّة من تاريخ تونس المعاصر، ما تستحقّه من الدرس والتحليل لإبراز إيجابياتها وتنسيب سلبياتها ولرفع الالتباس والغموض اللذين حاما حولها.

ويبيّن الأستاذ عبد السلام القلّال أنّ جيل الاستقلال وبناء الدولة الحديثة كان يأمل أن تكون عشرية الستينات الانطلاقة الحقيقية لتحقيق الحلم الذي راوده، غير أنّ التسرّع والتجاوز وسوء التقدير الذي آل إلى وقفة التأمّل والمنعرج الخاطأ والعدول عن منوال الاشتراكية الدستورية في نهاية سنة 1969، كلّها عصفت بتجربة اقتصادية واجتماعية وثقافية كادت أن تكون رائدة.

وتولّى تقديم الكتاب الأستاذ الشاذلي القليبي الذي أشاد بما تضمّنته المذكّرات من تحاليل لقضايا أساسية موسومة بنظرات ثاقبة، ومن بينها قضيّة التعاضد، التي أضاء المؤلّف بدقّة جـوانب منهـا لم تكن معـروفة، حسب رأيه.

مساهمات مؤسّسة الأرشيف الوطني في دعم مقوّمات الذّاكرة الوطنية والاحتفاء برموزها

تواصل مؤسّسة الأرشيف الوطني اهتمامها بالذّاكرة الوطنية ودعم مقوّماتها والاحتفاء برموزها. فبعد تنظيم ندوة بمقرّ المؤسسة حول «الشهيد عبد الرحمان مامي الطبيب والمناضل» يوم 07 أفريل 2018 تقام ندوة حول الزعيم النقابي والوطني أحمد التليلي يوم 27 أفريل 2018 وذلك بمناسبة تسلّم النصّ الأصلي للرسالة التي وجّهها في جانفي 1966 إلى الرئيس الحبيب بورقيبة. كما برمجت المؤسّسة يوما دراسيا حول «مؤسّسة الأرشيف الوطني بين الذّاكرة والتّاريخ من خلال التراث الأرشيفي والوثائقي» الذي تقوم بجمعه وحفظه وحمايته وإتاحته للباحثين وذلك يوم 30 أفريل 2018.

رومانيا وكوريا والفيتنام ومالي وبروكسال محطّات قادمة للدبلوماسية التونسية

روزنامة النشاط الدبلوماسي زاخرة بمواعيد مهمّة خلال شهري أفريل وماي 2018 تعكس حرص تونس على تعزيز علاقاتها وتعاونها مع دول صديقة في أوروبا وآسيا وأفريقيا وسعيها إلى تنويع شركائها في مختلف القارّات.

ومن المنتظر أن تنعقد بتونس يومي 19 و20 أفريل الدورة الخامسة عشرة للجنة المشتركة التونسية الرومانية برئاسة وزيري خارجية البلدين. وإثر ذلك يزور خميّس الجهيناوي كوريا الجنوبية لترؤّس الوفد التونسي في أعمال الدورة العاشرة للجنة المشتركة التونسبة الكورية، التي تلتئم يومي 23 و24 من الشهر نفسه، في حين تجتمع بتونس بُعيْد ذلك، أي يومي 25 و26، اللجنة المشتركة التونسية الفيتنامية في دورتها الثالثة ويرأسها من الجانب التونسي كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية الصحبي باشطبجي.

ومن 11 الى 12 ماي، تنعقد بتونس الدورة العاشرة للجنة المشتركة التونسية المالية بإشراف وزيري الخارجية في البلدين وذلك قبل أن يسافر خميّس الجهيناوي إلى بروكسال للمشاركة في اجتماع مجلس الشراكة بين تونس والاتحاد الأوروبي المزمع عقده في منتصف الشهر القادم.

جديد المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في دورته 19

يتجدّد الموعد، في ما بين 26 و29 أفريل 2018 مع المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في دورته التاسعة عشرة، وهو أعرق وأكبر تظاهرة إعلامية وفنية في الوطن العربي، يقيمها اتحاد إذاعات الدول العربية سنويا بالتعاون مع الإذاعة التونسية والتلفزة التونسية، وبشراكة مع المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية عرب سات.

والجديد في هذه الدورة (19) أنّها ستنظم بمدينة الثقافة الكائنة في قلب العاصمة التونسية.

ومن مميّزات الدورة الجديدة أنّها تحمل شعار : نصرة القدس العربية، تضامنا مع المدينة المقدّسة بعد القرار الأمريكي الجائر الذي اعترف بها عاصمة لإسرائيل فضلا عن اختيار المملكة العربية السعودية ضيفة شرف على المهرجان.

ويتمّ الاحتفاء بضيوف الشرّف والمكرّمين من بين ألمع نجوم الفن والدراما والسينما العربية، والكتّاب والمخرجين والإعلاميين المتميّزين في الساحة الإبداعية، وكبار المسؤولين، نذكر من بينهم ثلّة من وزراء الإعلام والاتصال العرب، والفقيد عبدالله شقرون ثاني أمين عام لاتحاد إذاعات الدول العربية والأستاذ عبد الحفيظ الهرقام المدير العام الأسبق للاتحاد.

ومن بين مكوّنات المهرجان : المسابقات الإذاعية والتلفزيونية والمعرض التكنولوجي وسوق البرامج وندوة إذاعية حول القدس والجلسات الحوارية الهندسية.

ASSURANCE
Construction

Promoteurs immobiliers... et professionnels du secteur du bâtiment

Pour assurer la réalisation de vos projets en toute sérénité...

des solutions adaptées à chaque besoin !

Nos +++

• un savoir-faire et une expertise reconnue,
• un accompagnement personnalisé pour vous guider dans vos projets...

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Groupe banque de l'habitat

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5-
Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 299
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

GARGICOM

في البرازيل سجنوا رئيسا ونحن عاجزون عن إيقاف وزير سابق

• بقلم رشيد خشانة

اقتصر الاجتماع التشاوري الذي عُقد في قصر قرطاج يوم السبت 7 أفريل الجاري على الرئاسات الثلاث، إلى جانب الأمينين العامين لاتحاد الشغل واتحاد الصناعة والتجارة. وهذا إطارٌ جديدٌ للحوار، يبدو أنّه يرمي إلى الالتفاف على ثقل الاجتماعات التي عقدها الموقّعون على وثيقة قرطاج، والانطلاق نحو مناقشة حلول عملية للأزمة السياسية والاقتصادية التي تُمسك بخناق البلاد.

واستطرادا، شكل هذا الإطار الخماسي تجاوزا لإطار الموقعين على وثيقة قرطاج من جهة، وللثنائية المعهودة النهضة-النداء من جهة ثانية. طبعا لا شيء يمنع اللجوء إلى هذا الحجم المُصغّر، طالما أنّه يقع في الخطّ المُمتدّ من بواكير الحوار الوطني في 2013/2014 والذي لعبت منظّمتا الشغّالين والأعراف دورا حاسما في إنجاحه.

الثّابت أنّ مشكل تونس اليوم ليس في الشّكل الذي يتّخذه الحوار، وإنّما في مدى قدرة كل طرف على التسامي على ضغوطه الداخلية، التي تغلب عليها النّزعة الفئوية بالضّرورة، من أجل التشارك في حلول تُخرج البلاد من المُختنق السياسي، وتحدُّ من تمدُّد الاقتصاد الموازي، وما يرافقه من تضاؤل الدخل الجبائي وتعاظم المديونية وتعثُّر النموّ وزيادة التضخّم. واكتسب هذا الاقتصاد الموازي اليوم من النفوذ السياسي والقوّة الاقتصادية ما يجعل أيّة قرارات تتّخذها الحكومة في شأنه تظلُّ حبرا على ورق. فقد استثمر أباطرة التهريب والشبكات الموازية جميع الثّغرات ليؤسّسوا دولة داخل الدولة لا يمكن تفكيك مكوّناتها ولا ضرب بُنيتها الأساسية بسهولة، وهو ما أكده بوضوح تعثُّرُ الحملة على أشهر أباطرة الفساد والمتورّطين معه.

لا يُبالغ من يقول إنّ هناك أنفاقا ومسارب بين الدائرة الرسمية والدوائر الاقتصادية الموازية، فثمّة قطعا تعاملٌ وتعاون يرقيان إلى مرتبة التكامل، ولذلك تعود الفرق التي تتوجّه لإلقاء القبض على مُهرّب أو لضبط شاحنة مُخالفة، بخفّي حُنين وهمرارة في الحلق، لأنّها تدرك أنّ اللعب أعلى من رؤوسها.

من مفارقات الزّمن الرّاهن أنّ بلدا عملاقا مثل البرازيل يسير فيه رئيس سابق نحو السّجن سيرا على الأقدام، تنفيذا لقرار القضاء، وإجلالا لمؤسّسات دولته، بالرّغم من أنّه ظل يُردّدُ آناء الليل وأطراف النهار أنّه «بريءٌ، والله بريءٌ» من تُهم الفساد المنسوبة إليه. وليس هذا الرجل رئيسا عاديا. إنّه إنياسو لولا داسيلفا، الزعيم العمالي الذي ظلّت تهتف له الملايين مناضلا ضدّ الاستبداد وقائدا نقابيا ثمّ رئيسا شعبيا، أشرف على إصلاحات كبرى لا يُنكرها حتّى خصومه. داسيلفا رفض المناشدات عندما أكمل عهدته الرئاسية الثانية والأخيرة، وكان في متناوله مراجعة الدستور والاستمرار في كرسي الرئاسة، إلاّ أنّه رفض رفضا قاطعا وغادر عندما كان يجب أن يُغادر ذلك الكرسي. وها هو القائد السبعيني يمتثل اليوم إلى حكم القضاء وفي القلب حسرة وفي الحلق غصّة، لكن بضمير مرتاح مثلما قال هو نفسه.

ما أبعدنا عن هذا المعدن من رجال الدولة، فالوزير الذي يدعوه القضاء في ربوعنا إلى المثول أمامه، يلجأ إلى جميع الوسائل القانونية في الأوّل لخداع العدالة، ثم يفرّ فرارا من وجهها عندما تُحاصره. أكثر من ذلك، لا يقتصر هذا الاستخفاف على المسؤولين السياسيين، سابقين أو حاليين، وإنما لا تتورّعُ شخصيات عامّة أخرى عن إتيانه، فتتجاهل استدعاءات القضاة وتمتنع عن تنفيذ قرارات العدالة، أسوة بما فعلته رئيسة هيئة الحقيقة والكرامة مرارا وتكرارا، بلا أيّ رادع أو حسيب.

وبالعود إلى السوق الموازية تُشير الإحصاءات إلى أنّها باتت تمثّل 10 في المئة من الدّخل الوطني، وأنّها تشمل فردا على كلّ ثلاثة أفراد من السكّان العاملين، الذين يُقدّرُ عددهم بنحو 3.6 ملايين عامل. ولا سبيل مستقبلا لإغراق هذا الاقتصاد الموازي واستعادة الأموال المخطوفة، التي تتحرّك يوميا في قنوات مكشوفة ومعلومة، سوى بوضع مشروع اقتصادي وسياسي إنقاذي. وقد أبان المشروع الذي أرساه الحوار الوطني عن كُنهه خلال السنوات الأربع الأخيرة، فبدا مشروعا أجوف، بوصلتُهُ مُوجّهة إلى منظوري الحزبين الكبيرين، بل إلى الصّفوة منهم، ممّا أدّى إلى تنازع بين الكتل والفرق المتنافسة والمتهافتة على المواقع كلّما فُتحت بورصة التوزير.

وعلى خلفية هذا الانطواء الحزبي، ترعرعت بعض الخطابات الشعبوية، التي تقتات من الإخفاق الاقتصادي (ارتفاع المديونية وتفاقم العجز وانزلاق الدينار...) والاجتماعي (تزايد البطالة وتمدّد الفقر...)، لكي تُضرم من الحرائق ما وسعها خطابُها العدمي، خاصّة في المناطق المُهمّشة، بإذكاء الشعور بالمظلومية، وترسيخ روح البغضاء والتّنابذ بين جهات وفئات لا يُفرقُ بينها دينٌ ولا طائفةٌ ولا عرقٌ ولا لغةٌ أو حتّى لهجة.

تعيش بلدان جنوب أوروبا أيضا ما يُشبه اللحظة الشعبوية، بدءا من حزب سيريزا المتشدّد يسارا (سابقا) في اليونان، إلى حزب بوديموس في إسبانيا، مرورا بالجبهة الوطنية المتشدّدة يمينا في فرنسا، وحركة النّجوم الخمس في إيطاليا. ويُعزى هذا المدّ إلى أنّ اللاعبين السياسيين والاجتماعيين التقليديين لم يعودوا يستوعبون الحاجات المُلحة للغالبية العظمى من سكّان بلدهم، مع حرصهم في الوقت نفسه على المحافظة على مكاسب المنظومة القائمة.

أمّا ما تعيشه إيطاليا اليوم فهو تفكّك الأحزاب الكبرى، وعلى رأسها الحزب الديمقراطي (الشيوعي سابقا) والديمقراطي المسيحي، واندثارها تقريبا، في إطار مسار بطيء نسبيا، هو بصدد توليد نظام سياسي جديد. والدافع إلى هذه التحوّلات هو شعور رجل الشارع بأنّ النظام السياسي التقليدي، والتشكيلات شبه المغلقة التي يعتمد عليها، تتجاهله ولا تكترث لمعاناته، لا بل إنّها تفرض عليه سياسة تقشّفية مُمنهجة. من هنا جاءت الأزمة التي يصفها البعض بأزمة انسداد الآفاق، بحسب تعبير إينيغو إريخون Iñigo Errejón مُنظّر حزب «بوديموس»، في كتابه الجديد «بناءُ شعب: من أجل تجذير الثورة».

نحن أيضا نحتاج إلى بناء شعب، بمعنى أن نُعيد صياغة الوحدة الوطنية على أساس مشروع جامع وتعدّدي في آن معا، يُوحّد التونسيين، ويوفّر لهم الأمان والكرامة، والحماية من السماسرة والمافيات، والاستفادة من الخدمات الصحية والاجتماعية، بلا رياء ولا شعارات فضفاضة. مشروعٌ يُرسّخ الانتماء إلى الوطن، وسط موجة الهجرة الكبرى للكفاءات، ويُكرس المساواة أمام القانون، ويُحاسب المتلاعبين بالقانون والمُضاربين بالمال العام. مشروعٌ يُجسر الفجوة الحالية الخطرة بين «تونس الرسمية» و«تونس الحقيقية».

يكتمل هذا الأمل بالاتّجاه نحو تركيز الديمقراطية المحلية، التي ستشكّل ثورة في الإدارة وفي المنهج الذي تُساسُ به الدولة. وإذا لم يتجسّد ذاك الأمل ولم تتغيّر أساليب الحكم والإدارة، سيُجهض لا محالة الأمل في التغيير، فميزة الديمقراطية المحلية تكمن في أنّها ستجعل ممارسة السلطة، التي كانت تقوم على خضوع المحكومين للحاكمين وفق حركة عمودية، إلى منحى أفقي بين فاعلين متساوين، بعدما كانت «التعليمات» تصدر من القمّة إلى القواعد. وهنا تكمن المراهنة على تخلّي المواطن عن استقالته وانخراطه في نحت مستقبله ومستقبل الأجيال القادمة..■

ر.خ.

Tunisair vous
emmène à Prague

tunisair.com

GET CLOSER

الخطوط التونسية
TUNISAIR

حصـــري :

الحالة الدينية في تونـس

• إعداد عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشابي

تكتسي الحالة الدينية في تونس كما في عدّة بلدان أخرى أبعادا مختلفة ومتشعّبة نظرا إلى تنوّعها وتداخلها مع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في الوقت نفسه. وقد أغرى هذا التنوّع والتّشابك الباحثين بدراسة هذه الظاهرة في علاقتها بأبعادها المختلفة في محيطها ومحاولة فكّ رموز تلك العلاقة. وفي هذا الإطار نسلّط الضوء اليوم على ما ورد في آخر تقرير بحثي أكاديمي يصدر هذه الأيام عن مؤسسة «مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث»، التي يوجد مقرها الرسمي في الرباط بالمغرب بالتزامن مع معرض تونس الدولي للكتاب ويتناول الحالة الدينية في تونس.

ليست هذه الدراسة الأولى من نوعها حول هذه المسألة فقد أعدّ المرصد الوطني للشباب بالشراكة مع منتدى العلوم الاجتماعية التطبيقية والمعهد العربي لحقوق الإنسان سنة 2015 تقريرا حول الحالة الدينية وحرية الضمير في تونس أفضى إلى نتائج هامّة بخصوص درجة التسامح والاحترام داخل المجتمع التونسي. كما أصدرت مؤسسة «مؤمنون بلا حدود» أيضا دراسة مماثلة حول الحالة الدينية المعاصِرة في الفترة من 2010 إلى 2014 في مصر. ويأتي التقرير التونسي ليوثق للحالة الدينية في تونس في الفترة الممتدّة من 2011 إلى 2015، ونورد منه، بصورة حصريّة، عدّة مقتطفات.

يمسح التقرير 1418 صفحة مقسّمة على 4 مجلدات وقام بالدراسات 35 مؤلفا ومؤلّفة مؤسسة «مؤمنون بلا حدود». وأشرف على فريق العمل د. منير السعيداني أستاذ علم الاجتماع بجامعة تونس المنار وتضمّ لجنة القيادة إضافة إلى رئيس الفريق الأستاذين نادر الحمامي واحميدة النيفر. وشارك في التقرير أكاديميون وباحثون أحرار وخبراء وموظفون وتنوّعت اختصاصات الباحثين فنجد علم الاجتماع والأنتروبولوجيا والتاريخ والعلوم السياسية والعلوم القانونية والعلوم الحضارية والعلوم الثقافية وعلوم الإخبار والعلوم الدينية وينتمي الباحثون إلى جامعات تونسية مختلفة.

تكوّنت اللجنة المشرفة على التقرير في نوفمبر 2014 وبعد أن نظّمت أوّل اجتماع لها انطلق العمل الفعلي في جانفي 2015. وعلى مدى 25 اجتماعا تمّ الاتفاق على الخطوط العامة للتقرير وعلى الفترة التاريخية التي يغطيّها وعلى المواضيع التي سيتناولها وعلى هيكلته العامة وكذلك على قائمة الباحثين الذين يمكن أن يشتركوا في كلّ محور على أساس الكفاءة والاختصاص. وتمّت مناقشة هذا التصوّر مع الباحثين في اجتماع عام معهم عقد في أفريل 2015 وتواصلت النقاشات إلى شهر جوان من نفس السنة للوصول إلى اتّفاق حول المحاور والفترة المعنية بالبحث الذي اتفق على أن يغطّي السنوات 2011 – 2015. أمّا المسح الميداني فقد أجري في أواخر سنة 2015. وقام الباحثون بصياغة بحوثهم ملتزمين بالقواعد التحريرية والبحثية التي تمّ الاتّفاق عليها وهي نفس القواعد التي على أساسها وقعت مراجعة البحوث بعد الانتهاء منها. ولكن هذا الالتزام لم يمنع الباحثين في التحليل من التمتع بالحرية الأكاديمية والاعتماد على توجّهات منهجية وعلمية مختلفة تبرز أنّ لكلّ باحث طريقته الخاصّة ورؤيته المتميزة.

الهيكلة العامّة للتقرير

يضمّ التقرير أربعة مجلدات موزّعة كما يلي:

المجلّد الأوّل: تناول المستوى المؤسّسي للحالة الدينية في تونس في 438 صفحة وبمشاركة 10 باحثين. وفي هذا المستوى تركّز اهتمام الباحثين على وزارة الشؤون الدّينية والمجلس الإسلامي الأعلى والجمعيات الثقافية والجوامع والمساجد والمؤسسة الزيتونية ومناهج التعليم الديني والمشهد الإعلامي الديني ومواقع التواصل الاجتماعي والإنتاج العلمي حول الشأن الديني.

المجلد الثاني: خصّص للمستوى القانوني فتعرّض الباحثون وعددهم ثمانية إلى الاتفاقات الدولية وقانون الأحوال الشخصية والأحزاب ذات المرجعية الدينية والأحزاب الأخرى وموقفها من الدين والانتخابات والدستور والحركة الطلابية والنساء والتديّن والجمعيات والمنظمات المهنية الدينية. ويمتد هذا الجزء على 366 صفحة.

المجلد الثالث: تناول بالدرس التنوّع الديني والمذهبي في تونس على امتداد 414 صفحة أعدّها 9 باحثين. وتعرّض الباحثون لليهود واليهودية وللمسيحية والمسيحيين والمالكية والصوفية والحنفية والإباظية والدعوة والتبليغ والسلفية والشيعة...

المجلد الرابع: خصّص للعمل الميداني الذي أنجز تحاليله 6 باحثين على امتداد 200 صفحة من خلال مسح وطني ميداني بواسطة استبيانات عرضت على 1800 شخص أجابوا على 170 سؤالا.

د.منير السعيداني

تقرير الحالة الدينية في تونس يبني قاعدة صلبة لنقاش هادئ في الشأن الديني

ما هي المنهجية المعتمدة في إعداد تقرير الحالة الدينية في تونس بين سنتي 2011 و2015؟ وماذا عن الورقات التحليلية لنتائج المسح الميداني الذي أجري في إطار هذا التقرير؟ وماهي أهمّ الأسئلة التي طُرحت على المستجوبين؟ وأيّ استنتاجات أمكن التوصل إليها؟ عن هذه الأسئلة يجيب د.منير السعيداني، أستاذ علم الاجتماع بجامعة المنار بتونس ورئيس فريق الباحثين الذي أعدّ التقرير، في حديث خصّ به ليدرز العربية.

كان أوّل تساؤل يطرح نفسه علينا هو ما المقصود بالحالة الدينية؟ وحسب د.منير السعيداني المقصود هو ما يتعلّق بالممارسات الدينية والمعتقدات وأنماط التديّن المختلفة ومؤسساته في تونس، لذلك تناولت الدراسة وضعية المعتقدات والممارسات الإسلامية والمسيحية واليهودية...بمشاركة 35 باحثا. وجاء التقرير ثمرة لتلك الدراسات.

وحتّى يكون وصف الحالة دقيقا وتحليلها العلمي موضوعيا اعتمد الفريق مسحا وطنيا ميدانيا بالتعاون مع منتدى العلوم الاجتماعية والتطبيقية في تونس.

وعن منهجية المسح وكيفية اختيار العيّنة المستجوبة أكّد د. منير السعيداني أنّه تمّ اعتماد الاستبيانات المباشرة (170 سؤالا) التي عرضت على عيّنة من المستجوبين (1800 شخص وقع تركيبها وفق التوزيع السكاني التونسي←

وكانت متوافقة مع الجداول الرسمية للمعهد الوطني للإحصاء حرصا على التمثيلية من حيث الكمّ والكيف. واعتمدت الاستبيانات متغيّرات مثل النّوع والعمر والبيئة المعيشية وتركيبة الأسرة والمستوى الدراسي والحالة المدنية والمسار المهني... وإضافة إلى الاستبيان تمّ استيقاء المعلومات من مصادر أخرى كالكتب والمواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي...

ستّ ورقات تحليلية لنتائج المسح الميداني

بعد جرد نتائج الاستبيان، وحسب د.منير السعيداني، ضبط الفريق مواضيع النصوص المخصّصة لتحاليل نتائج العمل الميداني:

- ورقة تقديمية أولى
- ورقة ثانية : وقد اهتمت بالآخرية والتصرّف في الاختلاف انطلاقا من الانتماءات الدينية والمذهبية.
- ورقة ثالثة : وقد اهتمّت بالتديّن الصوفي في المجتمع التونسي.
- ورقة رابعة : وقد اهتمت بالرمزية والشعائرية في الفضاء الديني التونسي ما بعد الثورة.
- ورقة خامسة : وقد خصّصت للدين والتديّن والتشريع في تونس.
- ورقة سادسة: وقد اهتمّت بالدين والمجال العام في تونس.

أمّا النتائج الإحصائية العامة فقد قرّر الفريق بناء قاعدة بيانات تفصيلية حولها ووضعها على موقع المؤسّسة التي موّلت المسح الميداني. أما المنهجية التي بُني عليها التقرير فتعتمد، وفق د.منير السعيداني، على ثلاثة أسس: رصد الظواهر والوقائع والأحداث البارزة أوّلا ثمّ وصف مسارات التحوّل وتوضيح الارتباطات القائمة بينها ثانيا، ثمّ التحليل والاستنتاج ثالثا. وفي هذه المرحلة الثالثة كان لكل باحث حريّة النقد ممّا أعطى بالنسبة إلى كل موضوع بحثا مهيكلا علميّا ينطلق من ملخّص وصفي تحليلي ثمّ يعرض الكلمات المفاتيح فالمقدّمة ثمّ البحث نفسه وأخيرا المصادر والمراجع. كما أشار منسّق الفريق إلى أنّ التقرير احترم آليات البحث الأكاديمي وقواعده من ذلك التوثيق والتدقيق في الأخبار واعتماد أساليب التوضيح كالملخّصات والجداول والالتزام باعتماد المعلومات التي حدثت في فترة الدراسة وعدم الحياد عن ذلك إلاّ إذا كانت المعلومة المستقاة خارج الفترة مهمّة لفهم الموضوع المطروح للبحث. كما حرص الفريق على أن يكون تحرير البحوث في لغة عربية سهلة الفهم لدى القرّاء في تونس وخارجها.

أهمّ الأسئلة

وعن أهمّ الأسئلة المطروحة على المستجوبين قال د.منير السعيداني المشرف العام على التقرير ومحرّره الرئيس: «عملنا مثلا على الموقف من الفصل السادس من الدستور وسألنا المستجوبين عن الموقف من حرية الضمير وطرحنا أسئلة عن حالة المساجد والأئمة والفضاء الديني في علاقة بالفضاء العمومي والموقف من الخطبة وأين يمارس المستجوب صلاته في البيت أو المسجد ومدى المحافظة على توقيت الصلاة. ومن بين الأسئلة المطروحة مدى تقبّل المستجوب للتنوّع والاختلاف الديني والمذهبي ولما يسمّى اليوم بالتحوّل الديني. كما سئل المستجوبون عن مدى قبول نمط عيش الآخر وتصرّفاته من حيث المظهر أو الزيّ في علاقة بالقناعة الدينية أو السلوك في الأماكن العامّة وتعرّضت الأسئلة كذلك إلى الموقف من تكفير الناس بعضهم بعضا». وبخصوص إدارة الشأن الديني سئل المستجوب عن الطريقة التي يراها لحلّ أي إشكال في إدارة الشأن الديني وإن كان يفضّل الحوار أم دعوة الدولة إلى التدخّل وتطبيق القانون. وسئل كذلك المستجوب كيف يصنّف نفسه: إن كان مسلما ملتزما أم مسلما بالثقافة...وسئل كذلك عن دور الإعلام في التصورات الدينية والموقف من حالة التّدين لدى التونسيين.

الدّولة والشّأن الديني

وحول الدولة في علاقتها بالشأن الديني قال الأستاذ منير السعيداني: «لقد لاحظنا من خلال جملة من البحوث إعادة تعريف لدور الدولة تجاه المجتمع ذلك أنّ ابتعاد الدولة عن إدارة الشأن الديني جيّد لأنه يفتح المجال لإرساء إدارة مدنية وتشاركية لكنّه للأسف يوفّر مجالا لعناصر أخرى وفاعلين لهم صبغة سياسية وإيديولوجية للتدخّل ممّا سبّب عديد الإشكالات في المجال.

وفي هذا الإطار، ومن بين الاقتراحات التي برزت من خلال ما وقفت عليه بعض الدراسات في التقرير، تطوير مهامّ المجلس الإسلامي الأعلى واقتراح الذهاب في اتجاه إدارة مدنية للشأن الديني. وأبرزت دراسات عديدة ضمن التقرير أنّ المجال الديني يمثّل نقطة توتّر في المجتمع ونجد هذا التوتّر في المساجد بعد الثورة وفي تسلّط الدولة قبلها رغم أنّ الدين والتديّن بالنسبة إلى المؤمنين عموما هو مجال الراحة والسكينة والاطمئنان والتوازن الروحاني. ولاحظت دراسات ضمن التقرير أنّه عندما يذهب الفرد إلى الفضاء الديني فيجده متوتّرا وكان سابقا محروما منه لأنّه كان تحت السلطة الحديدية للدولة، يغيّر اتجاهه نحو البحث عن المحافظة على ما هو جوهري في الدين وهو العلاقة المباشرة بين المؤمن وربّه. وقد لاحظت دراسات أخرى أنّ هناك اتجاها قويّا نحو تديّن فردي أو تعبّد مباشر. وهذا تحوّل مهمّ وإيجابي في المجتمع إذ يتّجه نمط التديّن نحو فردانية لا تعترف بالوسائط. وقد أكّدت الدراسة الميدانية هذا الاتجاه، إذ أنّ مواقف المستجوبين من الفصل السادس من الدستور الجديد على العموم موافقة ومرحّبة وتفسّره تفسيرا توافقيا إيجابيا».

وعن هذا الباراديغم الجديد الذي أبرز وجوده التقرير والذي يدعو إلى دولة راعية للدين لكن بصورة غير التي كانت قبل الثورة قال د.منير السعيداني إنّ عبارة «الدولة←

التعـدّدية الدّينيـــة في تـــونس من خـــلال البحـــث الميـــداني

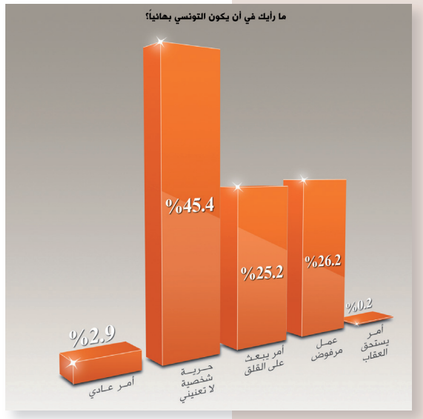

يبيّن الاستطلاع أنّ معرفة المستجوبين بالمسيحية (74.50 %)، وباليهودية (73.40 %)، لا تتجاوز نسبة معرفتهم بالديانة البهائية (10.6 %).

وتحظى المسيحية بهامش من القبول يفوق نسبيا ذاك الذي يبرزه موقف المستجوبين من أن يكون التونسي يهوديا (13.1 % مقابل 11.6 %)، ويتسع الفارق مع البهائية، إذ يرى (2.9 %) فقط منهم أنّ انتماء تونسيين إلى البهائية أمر عادي.

من ناحية أخرى، يُعرب أكثر عدد من المستجوبين عن رفضهم تهوّد التونسيين (29.7 %)، في حين يبدو اتّباع التونسيين البهائية الأكثر إثارة للقلق، ممّا قد يرجع لعدم معرفتهم بها.تظهر النتائج أنّ رفض أشياء محدّدة في معتقد الديانات الثلاث مرتبط بمدى القدرة على ذكرها، وهو ما يقتضي الإلمام ببعض جوانب الدّين العقدية أو الطقوسية أو غيرها. وعليه، إنّ أكثر نسبة من الرّفض لأمور بعينها في معتقد الأديان، في الدراسة، تعلّقت بالمعتقد اليهودي (36.5 %)، فالمسيحي (28.80 %)، ثم البهائي (7.60 %).

ومن ناحية السلوك، نرى أنّ الحرّية الشّخصية، التي يصف بها المستجوبَون انتساب تونسيين إلى الديانات الثلاث الأخرى، لا تُترجم في الواقع عبر قبول إقامة علاقات صداقة معهم، مع تفرّد المسيحية بقدر من التّسامح، وحصول البهائية على أقلّ نسبة. فلدى السؤال: هل تقبل أن يكون لك أصدقاء منهم (المسيحيون، اليهود، البهائيون) كانت نسب القبول (49.80 %، 25.9 %، 16.10 %) على التوالي...

ومن جانب آخر يحافظ التونسيون على الموقف المتحيّز إزاء التحـــوّل وتغيير الدّين وفـــق اتّجاهـــاته، إذ لا يكون محلّ قبول إلاّ إذا تعلّق بالدّخول في الإسلام، دون أن يكون مقبولا إذا ما تعلّق بالخروج منـــه إلى ما سواه. في هذا الموقف تعبير عن أنّ حريّة الضّمير وحرّية المعتقد شعار يرفعه الكثير ، ولا يتقيّد به إلاّ القليل. مردُّ هذا اللّا تكافؤ في التعامل مع فكرة التحوّل هو انغلاق المنظومة الدينية على نفسها بشكل إقصائي لكلّ انتماء ديني مواز أو بديل لأتباعها، فترك الإسلام من أجل اتّباع دين آخر يعدُّ من منظور العقيدة الخاصّة به ارتدادا و«كفرا بعد إيمان»، وهو ما يجعل المتديّن غير قادر على تكييف قناعاته الدينية مع مبادئه الحقوقية والمدنية.

تكثّفت ردود الفعل المستنكرة لقدوم دعاة إسلاميين من خارج تونس لعدّة أسباب، لعلّ أهمّها في نظرهم: إثارة البلبلة وتعقيد الأوضاع في إطار تنامي الخطر الإرهابي والجدل حول موقع الدين من الدولة، لذلك نجد أنّ الرّافضين لقدوم دعاة من خارج البلاد (58.1 %) يعلّلون رفضهم بأنّ قدومهم من شأنه أن يتسبّب في مشاكل (38.8 %)، أو في خلق « لخبطة» في المسائل الدينية (15.6 %) أو أن يساعد على تقوية تيارات دينية دون أخرى (4.8 %)...

يبدو المشهد الخارجي لتونس، للوهلة الأولى، موحّدا نسبيا بالمقارنة مع بعض دول الثّورات العربيّة، لكونه غير محكوم بمنطق التّناحر والصّراعات الطّائفية من جهة، ولأنّ العديد من الطوائف والملل، مثل الدّروز واليزيدية والقاديانية وغيرها، لم يُرصد لها وجود مباشر على مستوى المشهد المذهبي التونسي. إلاّ أنّ نظرة متمعّنة في واقع التفاعلات الاجتماعية الراهنة تكشف عن التباينات الدينية والمذهبية التي تسوده...

تتّضح مفارقة بين الإطار القانوني الضّامن للحريّات وللتعددية، وبين واقع المشهد الديني والمذهبي، الذي لا يخلو من رؤى استئصالية في بعض الأحيان قائمة على إقصاء الآخر. وهي مفارقة تنعكس على مستوى التفاعلات بين الفرقاء، إذ كشف البحث الميداني عن تضارب بين اعتبار انتماء تونسيين سنّة إلى مذهب مغاير حريّة شخصيّة، وبين رفضهم أن يكون لهم أصدقاء منهم، ممّا يعبّر عن نوع من التّذبذب، ويكشف عن مفارقة بين مبدإ التعدّدية وبين التعاطي مع التعدّد.

(المجلّد الرابع ص 57 ،61 ، 63 ، 64 ، 65)

نهتم بتونس
TUNISIA TOUR
آمي للتأمـــين
AMI Assurances
www.amitunisiatour.net
Tournée conçue et developpée par Tunivisions Group

راعيــة للدين» الــواردة في الدستــور إشكالية. وقد لاحظت دراسات في التقرير أنّ خطّ السياسة الدينية للدولة اختلف بعد الثورة من وزير إلى آخر عند تغيير رأس وزارة الشؤون الدينية، كلٌّ يفسّر رعاية الدين للدولة حسب «رأيه» الخــاصّ. وقد لاحظت الدراسات الواردة في التقرير أنّ السياسة الدينية كانت مع كلّ وزير تضبط انطلاقا من حاصل الصراعات وموازين القوى وأبرز مثال على ذلك هو الصراعات حول المساجد. لذلك طرحت دراسات مختلفة في التقرير الســؤال «من يحدّد السياسة الدينية للدولة»؟ أمّا اليوم، وبعد انقضاء الفترة التي غطّاها التقرير، فيبدو حسب د.منير السعيداني أنّنا سائرون نحو نوع من التهدئة وكأنّ القوى المتصارعة في الساحة انتفت، وفهم بعض الناس أنّ الصراع القائم على الدين انتهت فصول منه بعد أن أمكن إزاحة من يتمسّك بتأجيج ذلك الصراع من الساحة مثلما حصل مع السلفية. كما لاحظت بعض الاستنتاجات التي وردت في تحاليل العمل الميداني الذي شمله التقرير أنّ المستجوبين يبحثون عن صيغة مرنة تحقّق إدارة الدولة للشأن الديني وأنّهم يقبلونها بحذر.

الأحزاب الدينية وأشكال التّأثير

بالاعتماد على بعض التحاليل المضمّنة في تقرير الحالة الدينية بتونس 2011 - 2015، صنّف محــدّثنا الأحــزاب السيــاسية ذات المرجعية الدينية إلى ثلاثة: حزب قويّ ومنظّم وله موارد كبيرة بإمكانه التأثير في المشهد الديني مثل حزب النهضة، وحزب قويّ في حضوره الإعلامي ودعائي من دون موارد كثيرة وبتأثير متوسّط في المشهد الديني مثل حزب التحرير وأحزاب صغيرة ذات تأثير ضعيف ومنها بعض الأحزاب السلفية. وفي قراءة لبعض نتائج الدراسات التي تضّمنها التقرير، صنّف د.منير السعيداني أشكال تأثير هذه الأحزاب ذات المرجعية الدينية في المجتمع فهناك الشكل المفتوح الذي يؤدي إلى تأثير مباشر في مساجد بعينها (السيد رضا بلحاج الذي كان ناطقا رسميا باسم حزب التحرير كان يؤمّ المصلين في جامع سيدي عبد الحميد بسوسة مثلا). وهذا الشّكل يسمح بالانتقال من الديني إلى السياسي والعكس بالعكس بيسر بالغ ويمكن أن يصبح الجامع في هذه الحالة محلا للاستقطاب السياسي. أمّا النوع الثاني فهو الشكل الحذر ويعتمد على تأثير مقصود ونجد هذا الشكل لدى حزب النهضة الذي له تأثير مباشر في عدد من الأئمة ويكون فيه تبادل التّأثير والتّأثر بين السياسي والديني أقلّ سهولة من الأوّل. والشّكل الثالث هو التّأثير غير المباشر ونجده لدى السلفية وليس فيه تأثير سياسي مفتوح بل تأثير بأطروحات إيديولوجية من نوع خاصّ تقولب سلوك الناس. ولكن من العسير تقديم معلومات مؤكّدة خاصّة ونحن اليوم في وضعية ضبابية ونقص في المعلومات حول أشكال التأثير وحول مآل بعض الشخصيات التي لم نعد نراها على الساحة.

ومن خلال بعض الدراسات الواردة في التقرير، هناك، حسب د.منير السعيداني، أدوات أخرى للتأثير في رسم المشهد الديني في البلاد تعتمد المنظمات والجمعيات ذات الطبيعة الدينية وهي تقوم بعمل يدلّ في الحقيقة على أنّها واجهات لمجموعات سياسية فيها المنظم وغير المنظّم. وقد أبرزت بعض الدراسات←

التطوّر العام لعدد المساجد و الجوامع ما بين سنتي 2010 و2015

ازداد العدد الإجمالي لبيوت العبادة الإسلامية من جوامع و مساجد بما قدره 10.90 % مفصلا على ازدياد في عدد المساجد بما قدره 5.57 % في حين ازداد عدد الجوامع بما قدره 12.65 % أعلى نسب الازدياد كانت في ما بين سنتي 2012 و2013 تليها نسبة الازدياد في ما بين سنتي 2013 و2014 ثمّ نسبة الازدياد في ما بين سنتي 2011 و 2012 السنة الأولى (ما بين 2010و 2011) سنة اضطرابات في حين تمثل السنة الأخيرة (ما بين 2014 و2015) سنة تردد عقائدي و تدخل في الصفوف.

التطور العام للمساجد و الجوامع بين سنتي 2010 و 2015

السنة	عدد المساجد	عدد الجوامع	مجموع المعالم
2010	1184	3595	4779
2011	1167	3668	4835
2012	1167	3777	4944
2013	1196	3896	5092
2014	1230	4000	5230
2015	1250	4050	5300

ATBAWALSAKAN
Le programme premier logement sur 25 ans.

Pour de plus amples informations veuillez vous rendre à l'une de nos agences ou consulter notre site web : www.atb.tn
ATB
البنك العربي لتونس
Des professionnels pour vous.
www.atb.tn ATB TUNISIE

أهمية تلك الواجهات عندما أثير النقاش في تونس حول اعتماد الشريعة مصدرا للتشريع في الدستور حيث لم يكن النقاش داخل التأسيسي فحسب بل خرج إلى الشارع بواسطة تلك الواجهات وتمّ الضغط بها حتّى على النهضة عندما شعر من يقفون وراء تلك الواجهات بأنّها ستتراجع عن وعود ربمّا كانت أعطتها حول هذا الموضوع. وأخيرا، وكما لاحظت دراسات في التقرير ذكرها د.منير السعيداني، هناك تأثير مجتمعي عميق لهذه التحوّلات في المشهد الديني التونسي خلال الفترة 2011 - 2015، حيث تمّت ملاحظة تصاعد المحافظة الاجتماعيّة في عدد من المظاهر من بينها أنماط من اللباس والمظهر والسلوك في الحياة العامّة.

ولكن، وحسب محدّثنا، هناك معطى جديد وهو انخراط الشباب في الحركات الاجتماعية بعد أن جرّبوا الانخراط في الصراعات حول الدين وحول النظام السياسي... ولاحظوا أنّه انخراط لم يحل المشاكل السياسية والاجتماعية التي يريدون حلّها. والدليل انخراط 3 % فقط من الشباب في الأحزاب ومشاركة 10 % فقط منهم في الانتخابات. والانخراط المكثّف للشباب في الحركات الاجتماعية يعني وفق محدّثنا أنّنا ذاهبون نحو «استعادة» الأساس الاجتماعي السياسي للثورة. وكأنّ أصوات الشباب تقول لقد جرّبنا الصراعات والتوافق وحكومة التكنوكراط...لكنّنا لم نظفر بالحل وظل المجتمع التونسي يعاني من مشاكل يومية لم يجد لها السياسيون حلولا. لذلك انخرط الشباب في الحركات الاجتماعية الاحتجاجية وازدهرت حركات المواطنة وهذا يعطي فكرة عمّا يرغب فيه الشباب خاصّة وهم غير منخرطين في أحزاب ولو أعطيت لهم فرصة ليكون لهم دور في إدارة الشأن المحلّي فيما يهمّهم لكنّا وجدنا مخرجا للأزمة. وحسب محدّثنا ينتظرُ أن تكون الانتخابات البلدية والمحلية القادمة قائمة على تنافس سياسي قد يسمح بتصعيد القيادات الاجتماعية إلى الإمساك بمقاليد العمل البلدي والسلطة المحلية. ←

معركة المساجد

من دون مجازفة كبيرة يمكن القول إنّ ما عرفت بمعركة المساجد انطلقت منذ الأيام الأولى التالية مباشرة لانهيار سلطة زين العابدين بن علي و لكن ذلك تمّ أثناء عهدتي الوزيرين العروسي الميزوري (حكومة الباجي قائد السبسي 7 مارس 2011-24 ديسمبر 2011-29 جانفي 2014) واتّصل اثناء فترات عهدتي الوزيرين اللاحقين منير التليلي (حكومة التكنوقراط 29 جانفي 2014 - 6 فيفري 2015) وعثمان بطّيخ (حكومة الحبيب الصّيد الأولى 6 فيفري 2015 – 12 جانفي 2016)

و تتلخّص الوقائع في أنّ «مجموعات» منظّمة إلى هذا الحدّ أو ذاك من مرتادي الجوامع والمساجد وحتّى من غير مرتاديها المعتادين ومن ذوي المشارب الدينية الإسلامية والانتماءات الفقهية والسياسية الدينية المختلفة والمتخالفة، انخرطوا في حركة متّصلة من «افتكاك» محاريب الإمامة ومنابر الخطبة في الجوامع والمساجد ممّن كانوا قائمين عليها من الأئمّة والأئمة الخطباء لدواع قُدّمت على الأغلب على أنّها دينية وفقهية من قبيل ارتباط الإمام «المُنزّل» عن منصبه بـ «النّظام السابق» و/ أو خروجه عن «موجبات الشّرع» و/أو عدم أهليته، بل كفره أحيانا. في هذا الخضمّ كان العديد من المساجد والجوامع غير المرسّمة أي تلك التي لم تحصل على ترخيص رسمي بدأت بالنّشاط بعد «تعيين إطار مسجدي» غير مرسّم من طرف الوزارة. وبحسب إحصائيات غير رسمية لكنّها متواترة الظّهور في عديد التّقارير الإعلامية والقانونية كانت نسبة الجوامع «الخارجة على السيطرة» تراوح بين 30 بالمائة عند نهاية 2011 و12 بالمائة في سبتمبر 2012 و 4 بالمائة في جوان 2013 ثمّ بين 1 و 3 بالمائة في سنتي 2014 و2015. ومهما يكن من أمر دقّة الأرقام والتقديرات فقد بدأت منذ ربيع سنة 2011 تظهر وقائع تثبت كما أكّدت تصريحات رسمية لاحقة أنّ ما تشمله هذه النّسب من المساجد استقرّ تحت سيطرة إمامات مسجدية «افتكّت» عنوة مواقعها حيث لم يكن بدّ للوزارة من أن تقبل بالحال في العديد من المواقع فتطبّع الأمر الواقع بأنْ طالبت بتسوية وضعياتهم عبر طلب تثبيت لم يستجب له عشر المعنيين بالأمر تقريبا...

يتّضح من خلال التمعّن المقارن في الأمثلة النّموذجية الثلاثة (جامع الفتح بالعاصمة بإمامة نور الدين الخادمي و جامع الزيتونة بإمامة حسين العبيدي و جامع سيدي اللخمي بإمامة رضا الجوادي) ضمن وقع سير أطوار معركة المساجد عامّة أنّ المؤسّسة المسجديّة بصدد مراجعة علاقاتها بكلّ المؤسّسات الاجتماعية تقريبا : الوزارة وممثّليها الجهويين وبقيّة أجهزة الدولة والأحزاب السياسية والنقابات وأجهزة الإعلام ... حيث يمكن أن نقرّ بوجود إعادة موقعة للمؤسّسة المسجدية ضمن المشهد الديني.

(المجلّد الأوّل ص 131،132،140،141)

ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois.
En fin de période vous en devenez propriétaire.

ATL
LEASING
Plus qu'un leasing...

الجوامع و المساجد موزعة على الولايات (ديسمبر 2012)

الولاية	عدد جوامعها	النسبة المئوية من مجموع جوامع البلاد	عدد مساجدها	النسبة المئوية من مجموع مساجد البلاد
تونس	177	4.68	129	11.05
اريانة	72	1.90	12	1.02
منوبة	75	1.98	04	0.34
بن عروس	123	3.25	10	0.85
نابل	231	6.11	48	4.11
زغوان	101	2.67	05	0.42
بنزرت	172	4.55	30	2.57
باجة	67	1.77	23	1.97
جندوبة	139	3.68	17	1.19
الكاف	81	2.14	07	0.59
سليانة	98	2.59	07	0.59
القيروان	249	6.59	126	10.79
القصرين	163	4.31	63	5.39
سيدي بوزيد	228	6.03	03	0.25
سوسة	163	4.31	84	7.19
المنستير	153	4.05	89	7.62
المهدية	186	4.92	67	5.74
صفاقس	420	11.11	90	7.71
قابس	157	4.15	51	4.37
قفصة	134	3.54	104	8.91
توزر	63	1.66	64	5.48
قبلي	104	2.75	27	2.31
مدنين	306	8.10	103	8.82
تطاوين	115	3.04	07	0.59
المجموع	3777	100	1167	100

من المستفيد من التقرير؟

سألنا د.منير السعيداني عمّن يستهدفهم هذا العمل البحثي الضّخم فقال: «هي تجربة فريدة من نوعها في تونس تجمع في محمل واحد ولأوّل مرّة معلومات منظّمة ومرتّبة وموثّقة عن الشّأن الديني خاصّة خلال الفترة 2011 - 2015 وربّما يكون قاعدة لتقارير لاحقة بعد فترة (تقارير متلاحقة على صيغة الموجات). وهذا البحث مفيد للطلبة الباحثين وللباحثين وللأكاديميين والعاملين في مراكز البحوث والدراسات والمراصد ومؤسسات الإحصاء والإعلاميين والفاعلين الجمعياتيين والفاعلين السياسيين والاجتماعيين وصنّاع القرار الرّسميين وغير الرّسميين». وأضاف د.منير السعيداني أنّ التقرير مطروح للنقاش وسيساهم في وضع قاعدة صلبة لمناقشة هادئة في الشّأن الديني كما سيساعد على التّخفيف من الغموض والتداخل والتشنّج الإيديولوجي في النقاش حول الشّأن الديني بعيدا عن المزايدات لما فيه من المعطيات والرصد والوصف ووجهات النظر المختلفة والتحاليل المتكاملة في تباينها ونتائج المتابعات الدقيقة.

SIMPAR
ISO 9001

RESIDENCE LES MIMOSAS
LA MARSA

SIMPAR
71 840 244 / 29 921 009
www.simpar.tn
simpar@planet.tn

Localisation de la résidence

Situé à la banlieue nord de Tunis sur la Route de Gammarth, cité Erriadh, cet ensemble immobilier de haut standing est proche des divers équipements commerciaux et scolaires. En un rien de temps, vous êtes au centre de la Marsa, à Sidi bou said, à Carthage ou à Gammarth.
Il abrite 3 immeubles du type R2+ qui desservent 17 appartements et doté d'un grand parking sous-sol.
Vous découvrirez des prestations de qualité pour un vrai confort de vie.

التشيّع في تونس

قال عماد الحمروني: «التشيّع في تونس حالة نخبوية، ومازال شيعة تونس في حالة تبلور وتكوّن، لا يوجد دعم خارجي، وإني كثيرا ما أضحك عندما أقرا مقالات وتحليلات صحافية تونسية وعربية يزعم كاتبها أنّ شيعة تونس يتلقّون الدّعم الكبير من إيران بل منهم حتّى من كتب أنّنا مدعومون من طرف النظام السابق !. إنّها اتّهامات مجانية وغبيّة مازال يردّدها إلى الآن بعض الغوغائيين في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة الغاية منها التّشكيك في وطنية شيعة تونس».

ويرفض محدّثنا فاكر الصفاقسي أحد شيعة بنزرت فكرة ارتهان شيعة تونس بالإيرانيين واعتبارهم تابعين لهم مسلوبي الإرادة. وقال في هذا السياق : « لماذا نربط الشيعة بإيران؟ لماذا لا يتمّ الحديث عن الجماعات الشيعية الكبرى الأخرى في العراق وتركيا وباكستان والكويت والبحرين؟ لماذا هذا الحرص على ربط التشيّع بالعنصر الفارسي ؟ التشيّع في تونس سبق التشيّع الإيراني. ليس لي علاقة بإيران، ولم أزرها أو أزر مؤسّساتها الرسمية الموجودة في تونس ولو مرّة واحدة ، لكن لا أخفي إعجابي بعدد من مواقف الجمهورية الإسلامية المساندة لحركات التحرّر في العالم و على رأسها القضية الفلسطينية».

ونفى محمد صالح الهنشير أيّة صلة له مع الإيرانيين الرّسميين وغير الرّسميين، وأكّد أنّه لم يزر إيران ولو مرّة واحدة، وأنّ سفارتها ومركزها الثقافي في تونس لم يوجّها إليه دعوة لأيّ مناسبة، على الرّغم من أنّه من الوجوه الشيعية البارزة. وعبّر الهنشير عن رفضه ربط التشيّع التونسي بالتشيّع المشرقي عامّة على الرغم من زياراته المتعدّدة إلى العراق وحضوره المستمرّ في المناسبات الشيعية الكبرى. وأكّد ضرورة ربط هذه الحالة الدينية بسياقها التونسي المتجذّر في التّاريخ لضمان انسجام شيعة تونس مع مجتمعهم، وتجنّب أخطاء جماعات شيعية أخرى أولت روابطها المذهبيّة أولوية على حساب روابطها الاجتماعية والتّاريخية في أوطانها.

وقد تجنّب محدّثنا توضيح هذه النقطة على الرغم من محاولاتنا، وبرّر ذلك بحرصه على عدم الخوض في شؤون الآخرين احتراما للخصوصية وحفاظا على الحياد وتجنب الجدل. ويلتقي الهنشير في هذا الطرح مع عبد الحفيظ البناني الذي أبدى حرصا في مقابلتنا معه على ربط التشيّع بسياقه التونسي. وحين سئل امبارك بعداش إن كانت العمامة التي يرتديها تعبّر عن انتمائه المذهبي قال: أوّلا العمامة تقليد عربي، وثانيا ما أضعه على رأسي هو عمامة تونسية لها وظائف صحيّة، ومن أهمّها الحماية من العوامل الطبيعية مثل الحرارة والرياح بحكم انتمائه إلى بيئة صحراوية (جرسين-قبلي)، وأكّد أنّ عمامته تختلف عن العمامة العلمية التي يرتديها الإيرانيون والمشارقة.

وتحرص الوجوه الشيعية البارزة على ربط التشيّع بسياقه التونسي عن وعي بأهمية هذا الأسلوب في إنجاح خلق بيئة شيعية كانت في المدى القريب من المحظورات التي يعاقب عليها العرف والعادة والقانون.

(المجلّد الثالث ص 309)

أهم الاستنتاجات المستخلصة من التقرير

سألنا منسّق فريق البحث عن أهمّ الاستنتاجات التي استخلصها من هذا التقرير فلخّصها في أربعة:

الاستنتاج الأول: إنّ تونس في حالة تحوّل بالنسبة إلى الشأن الديني وهذا التحوّل أفضى إلى عديد المشاكل لأنّ المجال الديني كان تحت سيطرة الدولة قبل الثورة التي لم تترك الفرصة للفاعلين فيه للدخول في نقاشات حوله أو في نوع من التصرّف المدني في الشّأن الديني واليوم ظهر فاعلون جدد ليسوا دائما على استعداد للبناء المشترك.

الاستنتاج الثاني:لم تعد حدود المجال الديني واضحة وأصبح مجالا مفتوحا لفاعلين عديدين ومختلفين كالسياسي والإعلامي... وكل واحد منهم يعتقد أنّه قادر أن يؤثّر فيه بالرؤية التي يتبنّاها، فضلا عن الفاعلين التقليديين مثل الأئمّة. وفي هؤلاء الأئمة ثمّة أئمّة جدد يعتقدون أنّهم مسؤولون عن إيمان الناس وعن ممارساتهم الدينية وأنّ لديهم معرفة جديدة سيعيدون بها المجتمع إلى تديّنه. وهذا التّداخل بين الفاعلين جعل العلاقات متشنّجة ومتوتّرة وإدارة الصراعات صعبة التّحقيق.

الاستنتاج الثالث: ليس من الواضح لدينا هل نحن خارجون من التسلّط في إدارة الشأن الديني لنذهب نحو إدارة مدنية تشاركية أم أنّنا سائرون نحو الفوضى. لأنّ هذا المجال لم يعد يتحكّم فيه أيّ طرف واحد كما تمّ تجاوز وزارة الشؤون الدينية. فمثلا كانت مؤسّسة الإفتاء يسيطر عليها المفتي واليوم بإمكان أيّ إمام أن يفتي كما تجد الإفتاء في التلفزات وعلى الأنترنت. وتعدّد الفتاوى هذا هو تعدّد فوضوي.

الاستنتاج الرابع: وهذا استنتاج إيجابي فيه اتّجاه عام نحو تقليص تدخّل الدولة←

في الشأن الديني بمعنى أنّ دور الدولة مطلوب ولكن لا يجب أن يأخذ الشكل التسلّطي القديم. وقد برزت في التقرير أيضا صفات التسامح بين التونسيين من ذلك قبولهم التحوّل الديني من ديانة إلى أخرى ومن مذهب إلى آخر وبنسب عالية تصل أحيانا إلى ما يقارب 60 %.

وأخيرا، نستخلص من هذا الحديث مع المشرف العام على تقرير الحالة الدينية بتونس 2011 - 2015، وحرّره الرئيس د. منير السعيداني، أنّ هذا العمل الموسوعي حول الشأن الديني في تونس رسم لنا خريطة بالألوان عن التديّن في تونس ومساراته وحدّد لنا عددا من المؤشّرات الخاصّة به وبيّن لنا علاقته بسياقات السياسة ومدى تداخله مع ماضي المجتمع التونسي وحاضره ومستقبله. إنّه إضافة مهمّة للمكتبة البحثية التونسية يفتح الآفاق أمامنا لفهم الظّاهرة ومآلاتها المستقبلية. ولأنّه كتب بأسلوب أكاديمي موثّق ورصين فهو يمثّل قاعدة صلبة لنقاش هادئ في الشّأن الديني في تونس كما قال د. منير السعيداني.

حاوره خالد الشابّي

قضية المواخير

مباشرة بعد سقوط نظام بن علي أثارت قضية المواخير(بيوت الدعارة المقنّنة التي أنشئت منذ الاستعمار) جدلا واسعا وصل إلى حدّ اعتبار المواخير وصمة عار في تاريخ التونسيين (وجود 20 ماخورا في تونس يضمّ 5400 امراة تشتغل بالدّعارة). لقد وقع التهجّم على هذه البيوت من أجل غلقها تحت مسمّى «قوّة شعبية» وليس بمرسوم رسمي في أكثر من جهة في تونس، وأغلق بعضها في جهات سوسة والقيروان وفي 2011 نظّمت مسيرة من 300 شخص لغلق ماخور تونس وهي مظاهرة ضمّت العديد من النساء وفي مارس 2014 واجهت محرزية العبيدي نائب رئيس المجلس التاسيسي عن حركة النّهضة انتقادا شديدا بسبب استقبالها الـ«المومسات» بعد وقفتهنّ أمام المجلس التاسيسي في 11 مارس 2014 من أجل إعادة فتح ماخور سوسة الذي يشكّل مصدر رزقهن وقد وقّعن عريضة في الغرض وكانت مقابلة محرزية العبيدي لهنّ سببا في اعتبارها عارا على حزبها وأنّها ليست من الإسلام في شيء. وأتى ردّ النائب لافتا فقد صرّحت أنّها لم تأت إلى هذا المنصب لكي تعلن من هو مؤمن ومن هو كافر وأنّ اللائي استقبلتهن مواطنات تونسيات وكما يستقبل الطبيب والمهندس والمحامي يجب ألاّ يقع إقصاء هذه الفئة بل اللوم يكون على عدم استقبالهن كما أكّدت أنّه لابدّ من إعادة تأهيلهن وايجاد موارد رزق لهنّ، وأنّ طردهنّ لا يحلّ المشكل بل ورأت أنّهنّ يتعرضن للاستغلال واستغلال جسد المرأة هو أبغض أشكال العنف...

كثيرون هم الذين استحسنوا موقف محرزية العبيدي لكنّ لعلّ أكثر المواقف طرافة الموقف الذي صدر عن الداعية عادل العلمي الذي عبّر عن استعداده للزواج من 3 مومسات وقد ربطه بتعددّ الزوجات الذي يدعو إلى إبطال منعه.

(المجلّد الثاني ص 314)

المسيحيون في تونس

يبلغ عدد المسيحيين حوالي 30000، منهم 25000 من الكاثوليك وهم يمثّلون أقليّة، ولكنّها أقليّة تؤدّي دورا نشيطا في قطاعات مختلفة تعليمية واجتماعية واقتصادية وذلك لأسباب تاريخية وثقافية. وقد حدّد البابا يوحنا بولس الثاني في رسالة وجّهها الى مسيحيي تونس في 14 أفريل 1996 بمناسبة زيارته لها الدّور الذي يؤدّيه هؤلاء المسيحيّون في قوله: إنّهم أقليّة مكوّنة من أشخاص مختلفين متنوّعي الانتماء الإثني والجغرافي قادمين من مختلف أنحاء العالم يتقاسمون مع التونسيين حياتهم في الشّغل والأحياء وهم يكشفون عن هويّتهم المسيحيّة من خلال الحياة المشتركة والحوار والتّبادل وليس من خلال التّبشير.

أمّا عن الإطار القانوني الذي ينظّم العلاقات بين الكنيسة والدولة التونسية فقد حدّدته مذكّرة تفاهم وقّعت يوم 27 جوان 1964 حُوّلت بمقتضاها أملاك الكنيسة إلى الدولة التونسية وهذا الإطار القانوني جاء في سياق تصفية الاستعمار وهو اليوم يوضّح العلاقات بين الدولة التونسية والكنيسة الكاثوليكية وييسّرها.

ويبلغ عدد رجال الدّين الكاثوليك 35 راهبا من أوروبا وأفريقيا و القارّة الأمريكية غير أنّه يلاحظ توجّه نحو غلبة رجال الدين من الأفارقة عليهم على الرّغم ممّا لوحظ أخيرا من وفود جماعات من رجال الدّين من أمريكا اللاتينية و هو أمر يمكن تفسيره بأزمة الرّهبنة في أوروبا ويبلغ معدّل سنّ هؤلاء الرّهبان نحو 53 سنة...ونحن نشهد اليوم وفود أعداد كبيرة من الشباب الأفارقة طلبة ومهاجرين وعملة. كما توجد أعداد من المسيحيين من الزّواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين وهم لا يزالون يمثّلون بالنّسبة الى الكنيسة جمهورا من الأتباع الخلّص الأوفياء، وهذه الزّيجات مكوّنة أساسا من نساء أوروبيات (فرنسيات وإيطاليات وإسبانيات وألمانيات وبولونيات) متزوّجات من تونسيين.

ومنذ ثورة 2011 ازداد ارتباط الكنيسة بقطاع التربية والثقافة وهو ما تكشفه بعض الأرقام فهي تشرف على إدارة 10 مؤسّسات (مدرسة مهنية واحدة وروضتي أطفال، و7 مدارس ابتدائية في كامل التراب التونسي في الشمال والوسط وهو ما يمثّل 6000 تلميذ).

(المجلّد الثالث، ص 373،374)

يهود تونس ومعاداة السامية

إنّ أشدّ ما يُقلق الوجود اليهودي في تونس اليوم؛ أي بعد خمس سنوات تزامنت مع آخر أيام حكم بن علي وقيام النظام الجديد، التساؤل الآتي: هل هناك نشوء لما يُعرف بمعاداة السامية في تونس بما يهدّد الحريات الدّينية لهذه الأقلية؟ الإجابة النظرية عن هذا السؤال قاطعة، على الرّغم من كلّ ما تروّج له كتابات أمثال بت يعوروهو، الإسم المستعار للسويسرية من أصول مصرية جيزال ليتمن ((Littman, Gisèle ودانيال بايبس، وبرناد لويس، وغيرهم؛ فمعاداة السامية، من حيث هي اصطلاح، يُراد به معاداة اليهود تحديدًا لأسباب عقائدية، كما هو الشّأن بالنسبة إلى العلاقات اليهودية المسيحية، ذلك أمر لم يعرفه التاريخ الإسلامي القديم بتاتاً، ولا شيء في نصوص الإسلام التأسيسية ما يدعو إلى معاداة اليهود لسبب ديني محض، وقد حفظ المسلمون الأوائل لليهود وضعية قانونية هي الذّمة، ووضعية عقائدية هي أهل الكتاب ...

وبالعودة إلى تاريخ تونس المعاصر كتبت لوزيرا توسكان (الأغلب أنّه اسم مستعار) عمّا أسمته «نزعة إنكار المحرقة في تونس»، وحاولت رصد ما أسمته «معاداة السامية» في كتابات بعض أنصار حركة الاتّجاه الإسلامي، الذين دخلوا انتخابات 1989، في إشارة إلى رسالة عبد الحميد البديوي إمام جامعة باريس نانتير. والحقيقة أنّ هذا أمر طارئ في تاريخ تونس غذّاه الصّراع العربي الإسرائيلي من ناحية، وعدم انتباه النّخب السياسية الحاكمة إلى ضرورة الاهتمام بالتّعليم الدّيني، وعدم قصر التعليم الديني على الإسلام في المدارس الإبتدائية والثانوية وإشاعة روح التسامح واحترام أتباع الدّيانات الأخرى واحترام المخالف عموما...

ومنذ انهيار نظام بن علي في 2011 وظهور مناخ من الحرية برز ما كان كامنا عند الكثير من التونسيين فيما يتعلّق بالمسائل الدينية ولاسيما عن الديانات الأخرى واليهودية على وجه الخصوص. وتزامن ذلك مع اشتداد وطأة السلفيات الجهادية المناهضة بشدّة لليهود واليهودية التي لا تفصل في أدبياتها بين اليهودية والصهيونية وبين اليهودي واليهودية والصهيوني. وزاد من تغذية هذه المشاعر المعادية لليهود انسداد أفاق الحلّ السياسي للقضيّة الفلسطينية، ورؤية المجازر الإسرائيلية في حقّ الفلسطينيين، وانتشار رؤية الوهّابية لليهود واليهودية عبر القنوات التلفزيونية المخترقة للحدود، وهو ما أدّى إلى امتزاج كره اليهود وبمكوّنات متأتّية من أدبيات معاداة السامية الأوروبية. وكان الشّعار المخيف لهذه الثّورة الذي هتف به الكثير من المتأثرين بالإسلام السياسي العنيف، هو « خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود»، الذي فعل فعله في المتظاهرين المعادين لليهود في تونس ومصر والأردن...

لكن على الرّغم من كلّ هذا الحذر، أنّ أمرا جديدا قد حصل، ولم تكن تونس بعيدة عنه فجزء من الشباب التونسي المسلم العادي والبسيط يتغذّى من هذه الأدبيات المعادية للسامية، وعلى الدولة التونسية والنّخب أن يسارعوا إلى تطويق هذا الخطر المسئ للإسلام أوّلا، ولفكرة المواطنة ثانيا وللاستقرار السياسي للبلاد ثالثا، من خلال الاهتمام بإصلاح التّعليم الدّيني، والانتباه إلى أهميّة الإعلام ووسائطه المتنوّعة...

ويمكن القول عموما إنّ تونس، خلافا لعدد مـن الدول العربية، لا يُطرح فيها الوجود اليهودي باعتباره مسالة من مسائل الأقليات المثيرة لقضايا عصبيّة من التوتّرات الاجتماعية والدينية، لكن الحذر واجب والمستقبل مرهون بدرجة وعي التونسيين بالمواطنة وشروطها، وقدرتهم على معالجة القضايا التي قد تنشأ بكثير من الحكمة والتعقّل.

(المجلّد الثالث ص 352-351-350)

المشهد الدّيني التونسي بأبــعاده الثلاثة

• بقلم د. احميده النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

1- في إصدار أخير تعمّد الإعلامي والكاتب «لطفي حجي» أن يختار لكتابه الجديد عنوانا لافتا حدّ الاستفزاز: «إسلام السلطة وإسلام الجماعة: محنةٌ أمةٌ». بهذا الاختيار أكّد المؤلّف على أنّ توتّرَ العلاقة بين الحكام القائمين على ما يعرف بالإسلام الرسمي وبين مناوئيهم من الجماعات الإسلامية أمرٌ ضارب في القدم وأنّه ظلّ، رغم ذلك ماثلا ومستفحلا إلى يوم الناس هذا. يواصل المؤلّف في ثنايا الكتاب في الاشتغال على هذا البعد المثير، خاصّة لمن له نفس راضية وعين قانعة الذي يعتبر أنّ الإسلام واحدٌ وغير متعدّد رافضا القولَ بوجود إسلام سلطة من جهة وإسلام جماعة من جهة أخرى أو إسلام تونسيّ مغاير لإسلام تركي و لإسلام فرنسي إلى آخر ما يُعتبَر لديه «ابتداعا ما أنزل الله به من سلطان».

2- من المقدمّة يصدع «حجي» في مواصلة تحريك السواكن بعينه الفاحصة بالقول «إنّ المسلمين لم يختلفوا على مرّ القرون قدرَ اختلافهم في تفسير إسلامهم...» ليتوصّل إلى القول إنّ ظاهرة الاختلاف والتقاتل في ديار الإسلام ازدادت تجذّرا في السنوات الأخيرة مع ميلاد حركات تكفيرية متطرّفة تُشرِّع للقتل والإرهاب باسم الدين. ما يسوّغ به المؤلّف إصداره القائم على هذا التّشخيص هو أنّ ممّا يتوجّب على الباحث التونسي الذي شهدت بلاده ثورةً سياسية مَكّنَتْهُ من منسوب هامّ من الحرية أن يعالج بوضوح وجرأة « مأزق فهم الإسلام في ديار الإسلام».

بهذا التوصيف نقف على قراءة للمشهد الديني الإسلامي الحالي في البعد الصادر من الداخل، الفاحص للداخل والنّاقد له فيما يعتريه من إعاقات ذاتية. هي قراءة غير متداولة لأنّ إرادتها التجديدية تمنعها من أن ترمي كلّ الحِمْل في متاعب العرب المسلمين وأعطابهم على الخارج، أعداءً وخصوماً، شأنَ من ينظر لحال المسلمين بالعين القانعة الراضية عن النّفس.

3- العين الثانية الفاحصة للداخل في نزوعها للتجديد تلتقي مع العين الراضية في اعتقادها بـ«قدسية» النص القرآني وبعُلويّة مصدره وبرسالته الخالدة وبالتواصل مع مُنْجَزِه التاريخي. خصوصيتُها التي تُميّزها عــن العين المطمئنة أنّهــا بقدر ما تَعرُض بالنقد لإفهام المسلمين فهي تعمل على تجاوز وضع التَردّي لديهم في فهمهم للنص المؤسِّس خاصّة. هي بهذا التوجّه تعمل على تحديد عنصر الفاعلية في النص القرآني وفي المدوّنَة التفسيرية ليستبين ما هو مُستَر من المشيئة الإلهية وهي تتحرّك في التاريخ بما يزيد من كشف الفاعلية الإنسانية وسبل تواصلها ونُمُوّها. إلى جانب هذين البُعدين وهاتين العينين تبرز مقاربة ثالثة تتمتّع بعين راصدة تهتمّ بواقع المشهد الديني كما يتعيّن بصورة أقرب ما يكون إلى الموضوعية في موقع جغرافي محدّد وفترة زمنية مضبوطة. هذا ما ظهر في السنوات الأخيرة في تقارير ترصد الحالة الدينية في كلّ من المغرب ومصر فضلا عمّا يصدر سنويا عن وزارة الخارجية الأمريكية في تقريرها السنوي عن الحرية الدينية حول العالم.

4- أهمية هذه التقارير في بعدها التحليلي الذي يقدّم صورة وصفية للحالة الدينية بمختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والعلمية والقانونية والثقافية والإعلامية في بلد أو مجموع بلدان.

هذا ما تحقّق أخيرا للوضع في تونس بإصدارٍ دراسيٍّ غير مسبوق عن «الحالة الدينية في تونس 2011 - 2015 «عرّف بمكونات المشهد الديني المختلفة بدراسة علمية وبحث ميداني مُوثّق يمثّل قاعدة معطيات توضع بين أيدي القرّاء ذوي الاهتمام من كلّ نوع. أشرفتْ على إنجاز هذا التقرير مؤسّسة «مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث» وقامت بإعداده مجموعة من الباحثين التونسيين يناهز عددها الخمسين. شمل الجمهور المستهدف مجال الباحثين والطلبة والجامعيين والمنتسبين إلى مراكز البحث والإحصاء والتوثيق والمستفيدين منها والصحافيين والفاعلين الجمعياتيين والسياسيين والمسؤولين الإداريين وصُنّاع قرار.

5- تتمثّل خطورة هذا التقرير في بعده الثالث المُتعيِّن في مستوى دلالته السياسية- الاجتماعية وما تحتاجه من إرساء لقيمتي التعدّد والتعايش الثقافيتين لتونس وهي تخوض غمار تجربة حداثية وبعد حداثية مميّزة. ما يزيد من أهمية هذا البعد الثالث هو تهاوي التجارب في الفضاء العربي المأزوم نتيجة مصاعبه وتوتّراته الذاتية المواكبة للإكراهات الإقليمية والدولية بما يعيق خوض غمار هذا التوجّه لسنوات قادمة.

من هذا المنظور تكون طبيعة أعمال تقرير الحالة الدينية بالنّسبة إلى تونس في تجربتها الحالية هي مثل «سلوى الغريب» التي تسنُدُهُ حين يتصدّى لقَدَرِه وحيدا أو شبه وحيد. وظيفة التقرير أشبَهُ بما يقوم به علماء الأرض والكواكب من الرصد والدراسة للصفائح المتحرّكة للطبقة الخارجية للكرة الأرضية والمؤشّرة على حدوث زلازل وإثارة براكين. مؤدّى هذا أنّ في تقرير الحالة الدينية تعزيزا لفهم جوانب رئيسية من آليات عناصر المشهد الديني في تونس في خصائصها ومدى إمكانية تطوّرها من خلال ما عاشته تحديدا في السنوات الخمس التي تلت الثورة.

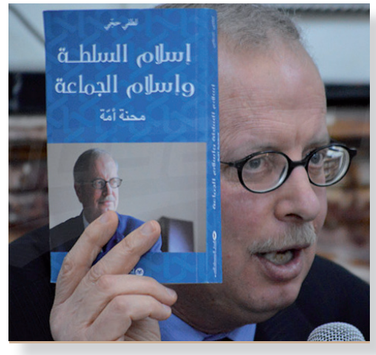

في هذا المستوى تُبرز أبحاث التقرير ودراساته وتقنياته البحثية المعتمدة في جمع المعطيات وتبويبها انتهاء إلى تقديمها وعرضها جانبا من خصائص المشهد الديني الإسلامي التونسي في الفترة الحديثة والمعاصرة وفي الوضع الراهن.

أبرز ما يظهر من عناصر هذا المشهد طغيانُ حالة التشظّي عليه وفقدان الديناميكية الموحّدة المحقّقة لتوازن مختلف مكوّناته. لهذا فلا غرابة إن كان هذا الفضاء مَرْتَعًا خصبا مستباحا للاختراق والإرباك والعنف. يتبدّى هذا من خلال الدراسات الجادّة التونسية والأجنبية التي انكبّت على ظاهرة انخراط عدد من الشباب التونسي في شبكات التطرّف العنيف.

6- ما يبرزه التقرير يؤكّد أنّ المشهد الديني مُعقّد ومتشابك وأنّ ظاهرة التطرّف العنيف هي الأخرى كذلك. لكن المؤكّد أنّ معالجة الجانب الأوّل بالإهمال والاستتباع التوظيفي والثاني بالتبسيط المكتفي بالمعالجة الأمنية الرّدعية، لن يؤدّيا إلى نتائج حاسمة تُرسِّخُ شرعية الدولة وتثري إنسانية الفرد والمجتمع. في هذا الجانب فإنّ ما انتهى إليه التقرير في قسمه الميداني الذي قام بمسحٍ وطنيٍّ من خلال مقابلات مع عَيِّنة ممثّلة قصْدَ الحصول على بيانات تخصّ الحالة الدينية في تونس كان في غاية الإفادة بخصوص تعقيد المشهد وضرورة التركيب والتنويع لطرق معالجة ظاهرة التطرّف العنيف. بذلك توصّل هذا القسم من تقرير الحالة الدينية إلى تقييم تقديري دعَّمه القسم البحثي الدراسي في ترابطه مع الخصائص السوسيولوجية والثقافية والتاريخية الواردة في التقرير لبلوغ قدْرٍ هامّ من التكيّف والوعي بدروب المعالجة المنشودة.

في تقرير ميداني آخر داعمٍ لتقرير الحالة الدينية اهتمّ بالمقدمات السلوكية للتطرّف العنيف تستوقفُ الباحثَ العناصر التالية:

- تزداد خطورة التطرّف العنيف لأنّ أسبابه المعقّدة والمتشابكة تختلف في طبيعتها مع البساطة الظاهرية للمقدمات التي تسهّل الانزلاق المدمِّر والتدريجي والذي كثيرا ما لا يثير شكًّا أو يستدعي تَخَوُّفًا.
- العائلة والأئمّة والمدرّسون والأصدقاء وكلّ الأطراف الحيّة مُدْعُوّة لليقظة الشّديدة لما يصدر عن المُعَرَّضين للسقوط في التطرّف العنيف في سلوكهم من مؤشّرات على بدايات الانحراف قبل استفحال المرض بهم.
- ليست هناك فئة واحدة مُعَرَّضة للخطر المتربّص الذي يهدّد المتعلّم والمنقطع عن التعليم والعائلة المرفّهة ومن يفتقد السّند الأسري والعامل والعاطل والحضري والرّيفي.

لكلّ هذا يتبيّن أنّ الخطر داهمٌ ومُعَوْلِمٌ وأنّ الانحراف لا يأتي فجأة إنّما يتفاقم بالصّمت والانزواء وأنّ المعالجة تقتضي انتباها وحوارا تواصليا دائما وتضافرا للجهود الرادعة والعلاجية المختلفة.

7- ما لا يُمكن إغفاله في تقرير الحالة الدينية عاملان. أوّلهما أنّ البعد الثالث للتقرير المُهتَمَّ برصد مكوّنات المشهد الديني ورسم حدودها وفهم آليات عملها ونمط اشتغالها يُضحي بُعدا ضروريا لأكثر من طرف. في طليعة هؤلاء المطمئن أن «للبيت ربٌّ يحميه» ومعه المراجع الفاحصُ للذات والعاملُ على تجديد الخطاب الديني.

كلا البُعدين، الواثق والناقد، محتاج إلى البعد الثالث لأنّ الواثق يُدرِكُ، رغم اطمئنانه، الافتقادَ لمرجعية فكرية تلاحق الواقع في جميع مواقعه وكافّة تطلّعاته وأنّه سيجد في التقرير أكثر من داعٍ يُحَصِّن قناعته ويقوّيها. أمّا الناقد فإنّ سعيه إلى التجديد لن يكون مُسَدَّدًا ومُنَزَّلاً لعقائده وقيَمه وأولياته ضمن الدائرة الفكرية العالمية من جديد إلاّ إذا وعى بدقّة وموضوعية مكونات الشأن الديني القائم وما يتطلّبه من المعطيات والتحاليل والرّؤى.

العامل الثاني المميّز لتقرير الحالة الدينية لتونس هو بناء مضمونه البحثي التحليلي على مكوّنات جامعة هي التي اعتُبِرتْ أعمدة المشهد الديني ومواقع فاعليته. أهمّ ما يلاحظ في هذا المضمون هي بنيته الثنائية. نجد من جهة طرفا فيه بحث في المؤسّسات (وزارة الشؤون الدينية - المجلس الإسلامي –المساجد- ديوان الفتوى...) يدعّم المجال القانوني (الدّستور-القانون الجزائي-القانون الانتخابي- الأوامر والمناشير...) ويرسّخه القطاع التربوي والعلمي والإعلامي (جامعة الزيتونة- التّعليم- الإنتاج العلمي - الإعلام الديني ...). في الطّرف الثّاني لبنية المضمون البحثي نقف على مجال السياسة والاجتماع (الأحزاب ذات المرجعية الدينية – الأحزاب المدنية والعلمانية – النقابات الطلابية...) ومعه التّنوع المذهبي (المالكية- الأحناف- الإباضية - التصوّف...) والتنوّع الديني (اليهود – المسيحيون..). تكشف هذه البِنيةُ عن الأساس الموضوعي الذي صار يحكم المشهد الديني في السنوات التي تلت ثورة 17 ديسمبر- 14 جانفي. الواضح أنّ المشهد بصدد التحوّل من تفرُّد سلطة الدولة بمؤسّساتها وقوانينها وعناصر إنتاج فكرها عليه إلى إسهام المجتمع المدني بأحزابه وجمعياته وتعدّده الديني والمذهبي.

بهذا تكون بوصلة تقرير الحالة الدينية في تونس مُؤْذِنةً بعصر جديد يتميّز فيه الديني عن السياسي بعد أن ظلّ لعقود وقرون مُستَلَبًا ومُستَتْبَعا لمن له سلطة الحكم والسيف.

جِماع هذا أنّ المشهد الديني الإسلامي في تونس تعتريه تحوّلات أكيدة تجعل المجال «الرّوحي» في وضع «حَرَكَةٍ منْ جَيَشَانِ التّقديس ونزع التقديس وإعادة إضفائه». هذا ما يتبيّن للباحث الاجتماعي التونسي «منير السعيداني» الذي أشرف على سير أعمال تقرير الحالة الدينية في تقدير أنّ رصد المشهد الديني في تونس بين سنتي 2011 و2015 هو، في النهاية، تَمْرُنٌ على ممارسة فكرية موصولة بالشأن الديني تتدرّب على تقبّل الأفكار المتنوّعة والمختلفة بما يحقّق معنى الاستعداد للاستماع إليها ومناقشته.

ا.ن.

ألفة يوسف

- أستاذة تعليم عال بالجامعات التّونسيّة ، ولدت بمدينة سوسة ، وفيها زاولت دراستها الابتدائيّة والثّانويّة.
- تحصّلت على الأستاذيّة في اللّغة والأدب والحضارة العربيّة من دار المعلّمين العُليا بسوسة سنة 1987 (جائزة رئيس الجمهوريّة)
- ثمّ نالت شهادة الكفاءة في البحث من كليّة الآداب بمنّوبة سنة 1988
- نجحت في مناظرة التّبريز 1989
- عيّنت مساعدة بكليّة الآداب بمنّوبة 1989 ثمّ أستاذة مساعدة 1992
- ناقشت أطروحة دكتورا دولة ببحث عنوانه «تعدّد المعنى في القرآن» (جوان 2002) بما أهّلها لنيل رتبة أستاذة محاضرة
- أستاذة تعليم عال منذ 2007 بالمعهد العالي للّغات بتونس
- تولّت إدارة المعهد الأعلى لإطارات الطّفولة بقرطاج درمش بين 2003 و 2009 وإدارة المكتبة الوطنيّة التّونسيّة بين 2009 و2011
- قدّمت عددا من البرامج التلفزيونيّة منها :
- كتاب في دقائق 1994 – 2004
- مساجلات 2000 - 2001
- كتاب من التّراث 1994 – 1997
- كتاب اليوم 2000 - 2001
- ساعة حوار 1994 – 1997
- على هامش السّيرة 2007

ألفة يوسف

مسلمة محيّرة

قال أستاذنا الرّاحل توفيق بكّار في تقديمه لرائعة المسعدي «حدّث أبو هريرة قال...»: «أبو هريرة خطر على اطمئنانك» ، ونكاد نقول نحن اليوم للقارئ : «ألفة يوسف خطر على اطمئنانك». فمنذ كتبها الأولى بدت ألفة يوسف مفكرة محيِّرة ومُربكة، مثيرة للجدل، منذورة للخروج والتّمرّد، مُعرضة عن السّائد والمألوف تقتحم، غير هائبة ولا متردّدة، مناطق كانت وما تزال مُعتمة مخوفة في ثقافتنا وفكرنا ومجتمعنا بما يَجعلها كاتبة جريئة بل صادمة أحيانا.←

• بقلم. الحبيب الدّريدي

لاغرابة

في ذلك فكثير من المفكّرين والمبدعين الذّين طبعوا مجتمعاتهم كانوا من الصّادمين الخارجين عن المألوف، والأمثلة عليهم لا تحصى في الفلسفة والفكر وفي الشّعر والأدب وفي الفنّ والإبداع، ألم يكن طه حسين صادما؟ ألم يكن الطّاهر الحدّاد صادما؟ وفي ثقافتنا العربيّة القديمة ألم تكن آراء المتصوّفة والمعتزلة صادمة؟ بل إنّ أشعار أبي نوّاس وبشّار كانت صادمة.أمّا في الفكر الغربيّ فحدّث ولا حرج ويكفي أن نذكّر بما وجدته كتابات «نيتشه» وبعض روايات فلوبير مثل «التّربيّةالعاطفيّة» L'Éducation sentimentale و«ألبير كامو» و«كافكا» وغيرهم كثير من جدل واستنكار.

وقد يعود ذلك أساسا إلى أنّ الشّخصيّة الثّقافيّة العربيّة عموما نشأت في بيئة فكريّة تُخلد إلى السّائد المألوف وتطمئنّ للشّائع المعروف وتتوجّس من كلّ خروج وعدول وتخشى كلّ تجاوز للأعراف والتّقاليد وكلّ تنكّب عن المسالك الممهّدة المطروقة . فإذا ما صادفتنا كاتبة تحرّك مياها راكدة وتخلخل بُنى متهالكة وتنبّه أفهاما خاملة كسلى وترتاد آفاقا كانت تعدّ ممنوعة مُحرّمة جابهتها بالصّدّ والإنكار وصنّفتها في عداد أصحاب «البِدَعِ» المخالفين لأدلّة الشّرع.

ولكنّ ألفة يوسف ليست ممّن يتقصّد مخالفة السّائد ويسعى إليها سعيا عملا بمقولة «خالف تُعرف»، وإنّما السّبب في اتّخاذها منحى غير معتاد في البحث والتّفكير هو أنّها باشرت المشكلات التّي اشتغلت بها بأدوات منهجيّة مستجدّة وأقبلت على قضاياها بعُدد وأجهزة نظريّة وإجرائيّة لم تجتمع لغيرها ممّن اهتمّ بالمسائل نفسها، فاختصاصها الأكاديميّ في اللّسانيّات وفروعها المختلفة ومعرفتُها بمباحث الهرمينوطيقا وتحليل الخطاب وتسلّحها بكثير من مقولات علم النّفس وعلم الاجتماع كلّها آليّات مكّنتها من أن تخوض غمار تلك القضايا متينة العدّة وافرة الزّاد.

وقد ضربت ألفة يوسف بسهم في أكثر من مجال، فقد تناولت «المسألة الجندريّة» على نحو مخصوص في عدد من كتاباتها، واهتمّت بالفكر الدّينيّ ولا سيّما بقراءة آي القرآن وكانت لها في هذا الباب مقاربات لافتة، كما اشتغلت على بعض الظّواهر الاجتماعيّة منها ماله علاقة بالجنسانيّة في أغوارها العميقة لا في أبعادها السّطحيّة ومنها ما له علاقة بالشّتيمة ودلالاتها ووظائفها، وهي في كلّ ذلك تجمع بين طرافة المبحث وعمق التّحليل وجرأة المقاربة .

المسألة الجندريّة : نحو سرديّة نسويّة جديدة

لعلّ أوّل ما يستعري الانتباه في تناول ألفة يوسف المسألة الجندريّة هو الموقع الذّي تزاول منه هذه القضيّة، فهي لا تضع نفسها في موضع «المنافحَة» عن المرأة و«الدّفاع» عن حقوقها كما يجري في الخطاب النّسويّ الشّائع والتّقليديّ فلا تقع في جموح «الحماسة النّضاليّة» المانعة من تعميق النّظر إلى الأشياء ولا يأتي خطابها مضمّخا بإدانة «الهيمنة الذّكوريّة» الفجّة والإنحاء عليها أو باستدرار العطف على النّوع الواقع تحت الهيمنة والرّثاء لحاله.

إنّ خطابها لا يصدر عن هذا الموقع النّضاليّ الكلاسيكيّ، بل إنّه خطاب متدبّر محلّل مفكّر باحث عن الحقيقة ، لأنّها تضع مسافة بينها وبين موضوعها وتبسط القضايا وتعالجها مستندة إلى العلم وحده متسلّحة بالبحث الموضوعيّ ، مستأنسة دون شكّ بمناهج في القراءة وبمسالك في التّحليل مستفادة من حقول معرفيّة متنوّعة دون الوقوع في الصّداميّة ودون الإيحاء بأنّ في المسألة صراعا ومنازلة .

وهي تنتهي من قراءتها لمنزلة المرأة في القرآن والسّنّة ولمكانتها في المجتمع إلى أنّ استنقاص المرأة ليس حقيقة قرآنيّة وإنّما هو واقع شكّله عاملان رئيسيّان :

- أوّلهما الفقه والتّفسير وطرائق تعاملهما مع النّصّ الدّينيّ
- ثانيهما العقليّة الذّكوريّة واستيهامات المجتمع الأبويّ←

مؤلّفات ألفة يوسف

- نساء وذاكرة (بالاشتراك 1992)
- بحوث في خطاب السّدّ المسرحيّ (بالاشتراك 1994)
- المساجلة في فقه اللّغة واللّسانيّات (تونس 1997)
- الإخبار عن المرأة في القرآن والسّنّة (دار سحر للنّشر1997)
- تعدّد المعنى في القرآن (دار سحر للنّشر 2002)
- ناقصات عقل ودين (دار سحر للنّشر 2003)
- Le Coran au risque de la psychanalyse , Albin Michel, Paris, 2007
- حيرة مسلمة في الميراث والزّواج والجنسيّة المثليّة (دار سحر للنّشر 2008)
- شوق قراءة في أركان الإسلام (2010)
- سلسلة بعنوان «واللّه أعلم» (2012)
- وليس الذّكر كالأنثى (في الهويّة الجنسيّة) (2014)
- أحلى كلام ... قراءة ذاتيّة (جدّا) في الشّتائم الفايسبوكيّة 2011 - 2017 (2018)

وعلى هذا فإنّ كثيرا من الأحكام والآراء التّي باتت تُعتبر اليوم أحكاما باتّة ومواقف ثابتة هي أحكام وآراء شكّلها فهم الفقهاء والمفسّرين للنّصّ الدّينيّ ونسجتها السّياقات التّاريخيّة والثّقافيّة والسّياسيّة والمعرفيّة التّي تمّ في إطارها تأويل النّصوص وتفسيرها وليست حقيقة قرآنيّة منتهية ومغلقة وصريحة كما يُقال.

ومن ناحية أخرى فإنّ عقليّة ذكوريّة تسود مجتمعاتنا الأبويّة كرّست أفكارا مسبقة عن المرأة تكوّنت على مرّ العصور من تصوّرات غير علميّة ومركّبات نقص واستعلاء وصنعت تاريخا من الهيمنة والتّسلّط أخلّ بجوهر العلاقة بين النّوعين.

وهو اختلال نجده في كتابها «وليس الذّكر كالأنثى»، كتاب تُفضي فيه بغيّ – لا نظنّها إلّا متخيّلة مصطنَعة – للمؤلّفة بجوانب من سيرتها وعلاقاتها الجنسيّة ومغامراتها على نحو يُشبه «الاعترافات»، فتكون عناصر تلك العلاقات المتنوّعة مادّة للقراءة والتّحليل النّفسيّ ومدخلا إلى رصد ملامح واقع ثقافيّ ونفسيّ ولسانيّ يكشف عمق التّباين بين الهويّة الذّكوريّة والهويّة الأنثويّة.

إنّنا إزاء سرديّة نسويّة جديدة تقوم على حفريّات في ضمنيّات النّصوص الدّينيّة وفي مضمرات الجنسانيّة تنكشف بها خبايا الذّكوريّ والأنثويّ الثّاوية في وعينا وفي لاوعينا، وتتأكّد في الوقت نفسه محوريّة اللّغة والثّقافة في تشكيل الهويّة الجنسيّة التّي لا توجد إلّا مرتهنة بالهويّة الجندريّة.

إبستيمولوجيا جديدة لقراءة النّصّ الدّينيّ

إذا نزّلنا كتابات ألفة يوسف في الفكر الدّينيّ في أفق منهجيّ ومعرفيّ عامّ أمكن لنا أن نعتبرها كتابات تقترح إبستيمولوجيا جديدة لقراءة النّصّ الدّينيّ وتفسيره. ولعلّ من أبرز رهاناتها في هذا الصّدد فرض مراجعات كثيرة في مستوى مفهوم القراءة ذاته، وفي مستوى شروط القراءة ومقتضياتها ، وفي مستوى حدود القراءة.

وتكشف مقاربتها للنّصّ القرآنيّ أنّها تعتبر كلّ قراءة مجرّد إمكان وليست بلوغا إلى حقيقة ، فعمليّة القراءة كما جاء في خاتمة كتابها «حيرة مسلمة» : «مغامرة دائمة شوقا إلى المعنى الحقيقيّ الذّي لا يعلمه إلّا اللّه تعالى». وعلى هذا الأساس فالقراءة ليست امتلاكا للمعنى وسيطرة عليه وإنّما هي سعي إلى استجلاء بعض ملامحه وآثاره، ومن ثمّ فإنّها تعتبر معنى القرآن الأصليّ موجود افتراضا وفهم اللّوح المحفوظ وأمّ الكتاب هو إمكان لأنّ القراءة تُقدّ من لفظ ولغة ، واللّفظ عاجز عن تمثيل المعنى الأوّل قبله فضلا عن تمثيل المعنى الأصليّ. ويترتّب عن هذا المفهوم أن تصير للقرآن إمكانات تفسيريّة وتأويليّة منفتحة ومتعدّدة.

ويتبيّن من مراس ألفة يوسف للنّصّ القرآنيّ أنّ فعل القراءة يشترط، فضلا عن الوعي بأنّ التّأويل إمكان وافتراض، استخدام آليّات متطوّرة تذلّل مُعوصات النّصّ وتفكّ مستغلقاته، ذلك أنّ مناهج القراءة تعدّدت وتقدّمت وموادّ التحليل تعقّدت ودقّت والمداخل إلى هذا النّصّ تنوّعت وتكاثرت.

مقتطف من كتاب
«وليس الذّكر كالأنثى»

«فلا تعجبوا إذن إذا رأيتم رجال بلادي «عامّتهم» و«خاصّتهم»، محافظَهم وتقدّميّهم، يصرخون ويتصارعون ويُحاولون فرض آرائهم، ويعُدّ الواحد منهم نفسه المالك الأوحد لأسرار الكون، ويتهكّمون على من منهم تشبّه بالنّساء أو خضع للنّساء، ويسعون إلى فرض أنفسهم بالمال أو بالسّلطة أو بقوّة العضلات أو بجمع النّساء فعلا أو خيالا، ويُطنبون في الحديث عن أنفسهم ونجاحهم وتفوّقهم في المجال الجنسيّ وغيره من المجالات.

ولا تعجبوا إذا رأيتموهم يُقزّم الواحد منهم الآخرين ولا سيّما النّساء، أو يُعنّف بعضهم بعضا ويُنظّر بعضهم الآخر للعنف ويُبرّره في سياقات مّا. ولا تعجبوا إذا رأيتم البعض منهم يُسقط فشله ، هذا إذا اعترف به، على الآخر أشخاصا وظروفا وحظّا وسياقا.

لا تعجبوا إذا رأيتم هذا كلّه فللهويّة الذّكوريّة وسائلها لمراوغة القلق والخوف والأسئلة الجوهريّة التّي لا يجد لها الذّكر جوابا. لا تعجبوا ولا تنزعجوا ولا تغضبوا ، فوراء كلّ رجل «قويّ» طفل صغير هشّ يُخفي دموعه لأنّ الرّجل لا يبكي ، ووراء كلّ رجل « قويّ» طفل يُكابر حتّى لا يرمي نفسه بين أحضان أمّه لأنّ حضن الأمّهات خطير ومخيف. ووراء كلّ رجل «قويّ» طفل يخاف أن يفقد ما به اكتسب حظوة اجتماعيّة ثقافيّة رغم أنّه يعرف في أعماق نفسه أنّ هذه الحظوة ليست إلّا جزءا من «المسخرة» mascarade التّي تجعله مطالبا بأن يكون دوما الأفضل والأحسن والأقوى والأثرى... «الأرجل» (أي الأكثر رجولة)..

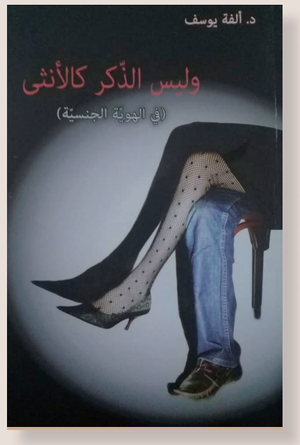

هذه «المسخرة» هي التّي تجعله مطالبا بأن يجري وراء سراب اسمه:» أن تكون رجلا» بل «أن تكون الرّجل»، ولكنّ الرّجولة كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء فإذا اقترب منه وجده سرابا. وتستمرّ الحكاية ...»

ص. 187

وعلى هذا النّحو فإنّ التّفسير والتّأويل يتطلّبان اليوم بالضّرورة الإفادة من العلوم اللّسانيّة بشعبها وتفريعاتها ولاسيّما العلوم الدّلاليّة ، والإفادة من مبادئ تحليل الخطاب ومفاهيمه ومقولاته ، والاسترفاد بحقول معرفيّة تخصب فعل القراءة وتغنيه كالفلسفة والأنثروبولوجيا وعلوم النّفس والاجتماع. وهي جميعا أدوات تغيب عن أعمال المفسّرين والفقهاء الأصوليّين التّي تكتفي بما يُسمّى قديما «التّفسير بالمأثور».

إنّ مقاربة ألفة يوسف للقرآن تكشف إعاقات المقاربة الأصوليّة وضمورها ومحدوديّتها وتنبّه على عدم كفاية علوم القرآن بمجالها القديم (أسباب النّزول – النّاسخ والمنسوخ – المحكم والمتشابه – علم القراءات) في الوصول إلى فهم أكثر ما يكون ملاءمة لجوهر القرآن.

ولعلّنا لا نبالغ إن قلنا إنّها تساهم مع قراءات مماثلة في المغرب والمشرق في إحداث «ثورة كوبرنيكيّة» في فهم النّصّ الدّينيّ وتأويله إذ تُخرج هذا الفهم من مجال «العِرفان» إلى مجال «البُرهان» ومن حقل المعارف النّقليّة إلى حقل المعارف العقليّة . أمّا حدود القراءة فهي بالنّسبة إليها النّسبيّة البشريّة، إذ القرّاء والمفسّرون لا يمتلكون قراءة مثاليّة نهائيّة للقرآن وإنّما هم مُمثّلون ذواتهم المحدودة النّسبيّة شأنهم في ذلك شأن سائر القرّاء على اختلاف مناهجهم في القراءة وتباين وسائلهم إلى مقاربة النّصّ.

وقد أُتيح لها في أفق هذه القطيعة الابستيمولوجيّة أن تُجري قراءات جديدة على منطوق النّصّ القرآنيّ في الميراث والزّواج والعلاقات الجنسيّة وأن تنتهي إلى إمكانات في الفهم والتّأويل مختلفة عن السّائد المستقرّ من قراءات الفقهاء والمشايخ ، وهي ترمي من خلال ذلك إلى إثبات تعدّد المعنى في القرآن وانفتاح إمكاناته التّفسيريّة وإبطال ما يُعتقد من أحديّة الحقيقة وانغلاقها.

« أحلى كلام...» : الشّتيمة على سرير التّحليل النّفسيّ الجماعيّ

آخر كتب ألفة يوسف، وقد صدر منذ أسابيع قليلة هو «أحلى كلام... قراءة ذاتيّة (جدّا) في الشّتائم الفايسبوكيّة 2011 – 2017»، كتاب عجيب وأعجب منه قدرة المؤلّفة على احتواء خصومها وشاتميها وتحويل ما أفرزته تشنّجاتهم من سوء القول والمقذعات إلى مادّة طيّعة لتحليل تناقضاتهم وعُقدهم وتعرية ما تحجبه تلك الشّتائم من هشاشة نفسيّة وفكريّة ومخاوف دفينة وقلق جارف مُقضّ، فإذا الردّ ليس شتيمة مضادّة - وما أبعدها عن ذلك - كما يجري في ساحة المهاترات السّياسويّة و الدّغمائيّة الشّعبويّة وإنّما هو بحث علميّ مبنيّ على التّحليل النّفسيّ الجماعيّ psychosociologique يُهدي إلى المجتمع عيوبه ويُشرّح بعض أمراضه.

لقد جمعت في هذا الكتاب الشّتائم التّي تلقّتها على شبكة التّواصل الاجتماعيّ بين 2011 و 2017 بسبب آرائها ومواقفها المناهضة لمحاولات أخونة المجتمع التّونسيّ آنذاك وأجرت فيها قراءة فاحصة، فقسّمت هذه الشّتائم إلى ثلاثة أقسام كبرى : قسم للشّتائم التّي ترميها بالفجور، وقسم للشّتائم التّي ترميها بالجهل ، وقسم للشّتائم التّي ترميها بالكفر.

ولكنّها لا تكتفي باستعراضها مبوَّبة بكلّ ما فيها من فحش وإقذاع وبذاءة وإنّما تعمد بعد ذلك إلى دراسة أساليبها وخصائص لغتها ثمّ تهتمّ بتحليلها وقراءتها. وقد أسلمها النّظر في تلك الشّتائم إلى جملة من الاستنتاجات:

فقد لاحظت أنّ هذه الشّتائم تكشف بعض وجوه الشّخصيّة التّونسيّة، وهي ثلاثة وجوه كبرى :

• أوّلها ضمور مفهوم الفرد وطغيان مفهوم الجماعة ، فالتّونسيّون يتعاملون مع الواقع بالنّسبة إليها من منظور الجماعة أساسا لأنّ مفهوم الفرد عندهم ليس مستبطَنا بما فيه الكفاية فيشتمون بمفاهيم قَبَليّة كجلب العار «أنت عار على المرأة التّونسيّة» أو الإقصاء القبلي «أنا تونسيّ فأطالب بسحب الجنسيّة من هذه المتخلّفة»، ويُعاملون المشتومين على أنّهم جماعة «يوسف الزّنديق ألفة يوسف وغيرهم من هذه النّماذج».

• ثانيهما أنّ العلاقات الجندريّة علاقات عموديّة تكون النّساء بموجبها في منزلة دونيّة، فالشّتائم تختزل المرأة في البعد الجنسيّ وتعتبرها موضوعا لا ذاتا ، فالمرأة بدت من خلال سيل الشّتائم موضوعا للشّهوة الجنسيّة وأداة للخدمة.

ومن ثَمّ فإنّ الحديث في الشّأن العامّ والتّعبير بصوت عالٍ ليس من خصائص النّساء، كلّ ذلك لحمل المرأة المتكلّمة على الصّمت والانسحاب من الفضاء العمومي «تي اسكت ... برّ موت ديقاج»

• ثالثها أنّ العلاقة بين الأنا والآخر علاقة مقارنة وصراع ، فالشّتائم في الأغلب الأعمّ تعقد مقارنة بين قيمة الشّخص المعرفيّة المفترضة وبين قيمته الفعليّة كما يراها الشّاتم «توّ إنتِ دكتورة ؟»

ثمّ إنّ المقارنة العميقة في واقع الأمر تتجاوز المقارنة بين المشتوم والشّاتم إلى المقارنة بين الجماعة التّي يتصوّر الشّاتم أنّه ينتمي إليها والجماعة التّي يتصوّر أنّ المشتوم ينتمي إليها «الفقهاء هم أسيادك» . أمّا الصّراع فيبدو في شتائم التّهديد والتّرهيب ومحاولات الإقصاء التّي تصل حدّ الإقصاء من هذه الحياة الدّنيا «أنتِ أحرى بك أن تموتي».

أمّا النّوع الثّاني من الاستنتاجات فيتّصل بوظائف الشّتيمة. وقد كشفت مدوّنة الشّتائم عند المؤلّفة أنّ الوظيفة الأساسيّة للشّتيمة هي←

←إبقاء الوضع كما هو في المجال الاجتماعيّ والحيلولة دون تحوّل البنى الاجتماعية.

لقد عكست الشّتائم خوفا من التّحوّل الاجتماعيّ ، وشمل هذا الخوف موضوعين:

• أوّلهما الخوف من انفراط الجماعة الدّينيّة بتواتر مظاهر الخروج عن إجماع الفقهاء وعلماء الإسلام وأهل السّنّة والسّلف الصّالح .

• وثانيهما الخوف من خلخلة الموازنات الجندريّة التّي تجلّــت في محاولات كسر الحدود الاجتماعيّة والقيميّة الفاصلة بين الذّكوريّ والأنثويّ في المجتمعات الأبويّة «مفمّاش مساواة بين الرّاجل والمراة وإلاّ علاش ربّي مخلقناش الكلّ رجال وإلّا الكلّ نساء».

فالشّتيمة تعكس خوفا من تبنّي الآخرين لفكر المشتوم وبالتّالي خوفا من انتشار ذاك الفكر «أكيد كلامك موجّه للجهّال» أو «لا تؤثّر إلّا في النّفوس الضّعيفة والعقول الفارغة».

وتخلص المؤلّفة في النّهاية إلى بيان أنّ الشّتيمة هي تصدّ لغويّ لتحوّل واقعيّ، فهي مقاومة بواسطة الكلمة لما يجري على أرض الواقع من تغيير جذريّ في بنى التّفكير وبنـى المجتمع.

على سبيل الخاتمة

كتابات ألفة يوسف يُمكن أن تُردّ إلى مشروع جامع يروم في تقديرنا تثوير مناهج المعرفة وبُنى التّفكير في القضايا التّي اهتمّت بها، فهي تقترح في القضيّة الجندريّة سرديّة نسويّة جديدة تستعيض عــن المُرافعــات والخطــب ومنطـق الخصومة والإدانة بإعطاء الكلمة للعلم والتّشريح والتّحاليل المُعمّقة، وهي تقترح في الفكر الدّينيّ إبستيمولوجيا تفسيريّة جديدة تواجه أحديّة الحقيقة وانغلاق القراءة.

أمّا الخصوصيّة التّي تنفرد بها فهي دخولها مناطق مُعتمة في ثقافتنا وفكرنا ومجتمعنا واجتراؤها على المسكوت عنه والممنوعات، فتستخدم الجنسانيّة – بسجلّاتها اللّغويّة المتنوّعة الفقهيّة والتّحليليّة النّفسيّة والشّعبيّة وبممارساتها المختلفة الغيريّة والمثليّة المباحة والمحظورة وبتفاصيلها الدّقيقة الشّائعة وغير الشّائعة – لتعالج مسائل هامّة في الهويّة الجنسيّة أو في قراءة الأحكام الشّرعيّة بخصوص بعض الظّواهر الجنسانيّة.

إنّه مشروع إشكاليّ يتنزّل في إطار فكر ما بعد الحداثة ويتّجه إلى إعادة النّظر في طرائق تمثّل الأشياء وفهمها وأشكال إدراك الكون ووعيه، يُحارب الوثوقيّة والإطلاق ولاتاريخيّة الظّواهر ليُذكّر بقيــم النّسبيّة والتّبدّل والاختلاف وبضرورة سيــادة الفكــر النّقدي وتحطيم أصنام «الإمامة» وسلطة المكتوب.

ولعلّ بيتا للمتنبّي في سيف الدّولة يقول فيه :
وَلَكنّه يأتي بكلّ غَريبَةٍ تَرُوقُ على استِغْرَابها وَتَهُولُ

يُذكّر بما تأتيه ألفة يوسف في كتاباتها فهي تأتي بكلّ غريبة، ولكنّها غرائب تروق على استغرابها وتهولُ.

ح.د.

مقتطفات من كتاب
«أحلى كلام ...»

الشّتيمة صــورة عن مخيــال شعب، وليست صورة عن مخيال فئــة دون أخرى، فلا فرق، في مضمون الشّتيمة وأسلوبها، بين إسلاميين أو حداثيّين ولا بين متديّنين أو لادينيّين. وهذا منطقيّ لأنّ الشّتيمة تكون باللّغة، واللّغة تهيكل الشّخصيّة الفرديّة والجماعيّة. والشّخصيّة التّونسيّة علّتها الجوهريّة هي «الأنا» بمختلف وجوهها وتلويناتها وتصريفها. وهي «أنا» مرضيّة في حاجة إلى عرفان مستمرّ وإثبات دائم وفي حاجة إلى صراع مع الآخر حتّى تهدأ وتطمئنّ أو تتوهّم أنّها هدأت واطمأنّت.

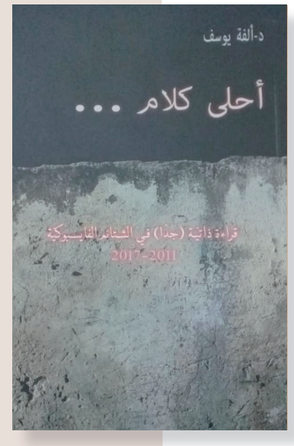

الأمر الثّاني هو أنّ أسوأ ضروب التّعامل مع الشّتيمة هو الشّتيمة المضادّة. فبما أنّ الشّتيمة تعبير عن قلق ذاتيّ فإنّه من أشدّ أنواع السّلوك بلاهة أن تُجيب طالب الطّمأنينة بتعميق شعور القلق لديه، ومن أشدّ أنواع السّلوك سذاجة أن تُجيب طالب الحبّ بصــدّ وكـره يُذكيان لديه التّوتّر. فكأنّك تُريد إطفاء النّار بإذكاء جذوتها، في حين أنّ النّار تنطفئ تلقائيّا إذا لم تجد ما تأكله.

إنّ المجتمع التّونسيّ في حاجة إلى طوفان من الحبّ عسى تهدأ النّفوس المتوثّبة نحو صراع خارجيّ وهميّ. وربّما آن الأوان لنعيد النّظر في أساليب التّربية في الأسرة وفي مناهج التّعليم وفي نوع الإعلام حتّى نبني علاقات صحيّة تبدأ بحبّ المرء نفسه ، ووعيــه أنّ لكلّ دورا في الحيــاة، وأن لا دور أفضــل من دور. فــمـن لا يُحــبّ نفســه لا يُمكن أن يُحبّ الآخرين، ومجتمع قائم على الصّراع والكره لا يُمكن أن يكون متوازنا، ولا يُمكن أن يرنو نحو التّقدّم والنّموّ والسّلام.

ص ص . 170 - 171

البنك التونسي
BANQUE DE TUNISIE
LE LEASING DE LA BANQUE DE TUNISIE
UN AUTRE REGARD SUR LE FINANCEMENT DE VOS INVESTISSEMENTS
UNE DECISION RAPIDE
UN FINANCEMENT SOUPLE ET PERSONNALISÉ
UN FINANCEMENT À 100% DE VOTRE INVESTISSEMENT
BESOIN DE FINANCEMENT POUR L'ACQUISITION DE VOS VÉHICULES, OUTILS DE PRODUCTION OU LOCAUX PROFESSIONNELS ?
DÉCOUVREZ NOS SOLUTIONS DE FINANCEMENT SUR-MESURE QUELQUE SOIT VOTRE MÉTIER OU SECTEUR D'ACTIVITÉ
Un conseiller clientèle sera à votre écoute pour vous accompagner durant toutes les étapes du crédit à travers un réseau de plus de 120 agences.
Centre de Relation Client 81 10 12 12
www.bt.com.tn

مشروع تونس باي Tunis Bay
وجهتك المقبلة للإستثمار

نحلم جميعا بالعيش في مدينة عصرية تحتوي على كل مرافق الحياة والتسهيلات للسكن والعمل والتنقل، مدينة يتوفر فيها الجمال والانسجام وجودة الحياة والمتعة بشكل يومي. هذا الحلم أصبح حقيقة بفضل مشروع مدينة «Tunis Bay» التي ستمنح ساكنها عالما جديدا يستطيع فيه تحقيق كلّ أحلامه.

مدينة

المدير التنفيذي للمشروع. وهو ما حرص على إبرازه مكتب الهندسة العالمي HOK الذي استعان بخبراء عالميين لتصميم هذا المجمع المميّز و أضاف السيد لطفي قائلا: «المشروع في طور الإنجاز من قبل كفاءات تونسية ذات خبرة عالية و قدرة على إنهاء هذا الصّرح الضّخم في الآجال المحدّدة ووفقا لمعايير الجودة العالمية وهذا يعكس حرصنا على تسليط الضّوء على تميّز الخبراء واليد العاملة التونسية التي ستعمل على أن يكون هذا المشروع فخرا لكل التونسيين كما أنّنا متمسّكون بضرورة تشريك مطوّرين عقاريين من تونس عبر تشريكهم في تطوير أراضي المكونات الأساسية للمشروع كملعب الصولجان والمركب التجاري والميناء الترفيهي.

وتحتوي مدينة «تونس باي» المتكاملة على ملعب صولجان بمساحة 80 هكتارا، محاط بمجمع سكني يحوي 509 فيلات ومركّب تجاري ضخم على مساحة 100 ألف متر مربّع وميناء ترفيهي يمتدّ على 36 هكتارا ويتّسع لأكثر من 850 حلقة ربط لليخوت ، بالإضافة إلى مستشفى خاصّ وقطب تكنولوجي وجامعة ومركّب مالي ومنطقة للتسوّق. بذلك سيجد ساكنوها كلّ ما يرغبون به وما يحتاجونه على عين المكان وعلى بعد 35 دقيقة من وسط العاصمة و25 دقيقة من مطار الدولي تونس قرطاج. ومن المنتظر أن تستوعب المدينة 107 ألف ساكن مقيم، بالإضافة إلى 67 ألف زائر يوميا.

و»يطمح هذا المشروع إلى الانتقال بتونس لتكون مركزا اقتصاديا مشعّا إفريقيا وعربيا ومعبرا لمرور رؤوس الأموال نحو المغرب العربي والقارة الافريقية. إنّ دور «تونس باي بروجكت كومباني»لا يقتصر على التطوير العقاري فحسب بل أنّ هذه الشركة الرائدة تنوي التواجد بصفة مستمرة في تونس لإنجاز مجموعة من المشاريع الكبرى والاستثمار على المدى البعيد فهي حاملة لرؤية فريدة وفلسفة مختلفة تجعلها عنصرا فاعلا قبل وخلال وإثر إنجاز المكوّنات الرئيسية للمشروع» يؤكّد ذلك السيد زياد الجويني المدير التنفيذي المساعد للمشروع ورئيس قسم التطوير الذي أضاف أنّ «اعتماد «تونس باي بروجكت كومباني» على الشركة التونسية «اليانس»لإنجاز مشروع ملعب الصولجان ومركّبه السكني يعود إلى خبرتها المثبتة في القيام بهذا النوّع من المشاريع ولكن تبقى «تونس باي بروجكت كومباني» مالكة لـ51% من أسهم شركة «تونس باي اليانس غولف بروجكت» وهذا الأمر ينطبق على المكوّنات الرئيسية للمشاريع فهذه الشركة تختار شركاءها وفقا لخبرتهم في مجال المشروع المعني وتبقى دوما هي الحائزة على أغلبية الأسهم» واختتم السيد زياد الجويني قائلا: «هذا التوجّه الاقتصادي الفريد لشركة «تونس باي بروجكت كومباني» سيتمّ اعتماده عند بناء جديدة توجد على الطريق السياحية في قمرت وتمتدّ على مساحة 523 هكتارا، يمتدّ خليجها البحري على مساحة 2.4 كلم من البحر. وهي تجمع بين الفيلات السكنية الفخمة ومركّب أعمال وفضاءات ترفيهية بالإضافة إلى مستشفى خاص وجامعة وملعب صولجان وميناء ترفيهي.

مشروع «تونس باي» هو من إنجاز شركة «تونس باي بروجكت كومباني» وهي فرع من مجموعة «GFH»البحرينية، المعروفة بانجازها لمشاريع ضخمة في دول مجلس التعاون الخليجي وشمال إفريقيا والهند. «يُراوح هذا المشروع الضّخم بين جمال البناء وثراء الهندسة وأناقتها، حيث يعكس في نفس الوقت، الروح المتوسّطية والأصالة التونسية»، حسب ما يؤكّده السيد لطفي الزار، المركب التجاري، الميناء الترفيهي، الجامعة والمستشفى الخاص» ومن المنتظر أن يوفّر المشروع 16000 موطن شغل، ممّا من شأنه أن يعطي دفعا كبيرا للاقتصاد التونسي خاصّة في فترة الأزمة الحالية.

وتبلغ رسملة هذا المشروع الضّخم أكثر من 7 مليار دينار تونسي، منها أكثر من مليار دينار تمّ استثمارها في البنية التحتية. حاليا يتمّ إنجاز الجزء الأوّل من المشروع الذي تبلغ كلفته 300 مليون دينار، وسيتمّ تسليمه في ديسمبر 2019.

وتعتبر مجموعة «GFH»، المنجزة للمشروع، إحدى المجموعات المالية الأكثر ريادة في الخليج العربي وهي معروفة بقدرتها على استغلال الفرص الاستثمارية الأكثر نفعاً من خلال الاستفادة من النموّ في أكثر الاقتصادات الحيوية الصاعدة في العالم، وفق ما صرّح به السيّد فارس بوسلامة، المدير التجاري والتسويقي لـ «تونس باي بروجكت كومباني». سرّ نجاح المجموعة يكمن في رؤية مبنية على حرصها التام على مدّ مساهميها وعملائها بأفضل خدمات التنمية والاستثمار وهي تجعل من الصبغة العالمية والمعقّدة للأعمال والاستثمارات التي تديرها حافزا يدفعها إلى أن تكون في مستوى انتظارات وتوقّعاتهم عملائنا حيث تضمن لهم مستوى عاليا من النّجاعة و أكبر نسبة من العائدات.

ومنذ نشأتها في عام 1999، كوّنت المجموعة قاعدة قويّة من العملاء في أربعة مجالات استثمار رئيسية أساسية وهي: إدارة الثّروات، والخدمات المصرفية التجارية، وإدارة الأصول، والتطوير العقاري.تفوق نسبة الأصول والأموال الخاضعة لإدارة المجموعة البحرينية من 6.2 مليار دولار أمريكي وهذا يؤكّد دورها الريادي في إدارة الأصول بالمنطقة وتنقسم هذه النسبة إلى 45% خاصّة بالتنمية العقارية، 33% للقطاع المصرفي التجاري و11% للأسهم الخاصة و 3% لإدارة الأصول.

والجدير بالذكر أنّ مجموعة «GFH»مدرجة في ثلاث بورصات في دول مجلس التعاون الخليجي، وهي تشمل بورصة البحرين وبورصة الكويت وسوق دبي المالي الذي يعتبر أحد أنشط الأسواق المالية من حيث تداول الأسهم. وتتركّز أنشطة عمليات مجموعة GFH بشكل أساسي في دول مجلس التعاون الخليجي وشمال أفريقيا والهند بالإضافة إلى استثمارات استراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة. وقد صمّمت ومولت مشاريع عقارية كبيرة ومبتكرة في دول مجلس التعاون الخليجي والشرق الأوسط وشمال أفريقيا والهند. وطوّرت العديد من المشاريع الضّخمة والفاخرة مثل «منطقة التنمية التجارية «بموميباي بالهند و»المرابع الملكية» بمرّاكش و»الهاربر رو» و»الهاربر نورث» بالبحرين و «كاليفورنيا فيلاج»بدبي».

TUNIS BAY PROJECT COMPANY
FILIALE DU GROUPE GFH | gfh

بورقيبة والعمل الثقافي

نهضتنا الاجتماعيّة، التي انطلقت إثر الاستقلال، كانت متولِّدة عن المبادىء التي نَهَج لها الرئيس بورقيبة، مِن خلال مقرّراته السياسيّة الجريئة، لكن معزِّزةً بعمل ثقافي رائد، تعاقبت عليه ثلة من الوزراء، تَميَّز كلّ منهم باجتهادات خاصّة ؛ لكن جميعها كان في تجاوب مع المقاصد التي أرادها المجاهد الأكبر.
والحقّ أنّ هذه النهضة لجديرة بأن تُعتبر ثورة سلميّة، لأنّها غيّرت نظرة المجتمع إلى سالف أوضاعه. فقد كان مجتمعنا، طيلة قرون مَتتالية، مُحافظا، في كلّ المجالات، متمسِّكا بأنماط تقليديّة، يعتبرها الجميع مِن أركان الذاتيّة الوطنيّة . ولَمّا انتصبت الحماية - وكان من أهدافها «فَرْنسة» مجتمعنا، لُغويّا واجتماعيّا وحضاريّا - تصَدت لها القُوى الوطنيّة، بالكفاح السياسي، وبالنضال الاجتماعي، حماية للتقاليد المجتمعيّة، أن تندثر..

• بقلم الشاذلي القليبي

الزّعيم

بورقيبة نفسه - الذي سيكُون، في عهد الاستقلال، قائد الدّعوة إلى التّحديث والتّطوير، خاصّة من أجل تحرير المرأة - فقد كان، هو أيضا، في العهد الاستعماري، من المعارضين للمنظّمة النّسائيّة، في دعوتها إلى إلغاء الحجاب. وكان، إذّاك، يقول إنّه من رموز الانتماء الوطني، والواجب يَفرض الإبقاء عليه، لحماية الذاتيّة الوطنيّة، التي يُريد المستعمر طمسها.

لكنّه، بعد تحرير الدولة من قبضة الاستعمار، إذا الرئيس، بكلّ ما عُرف به من عُنفوان، يتزعّم تحرير المجتمع، ممّا ران عليه من جُمود، طيلة القُرون الماضيّة ؛ ويأمر بإلغاء التقاليد البالية - وفي طليعتها الحجاب - داعيا إلى التمييز بين الصالح منها، وما هو مُعطِّل للتطوّر والنهوض : وذلك وجهٌ من أهمّ ما سمّاه بمعركة «الخروج من التخلّف».

ثمّ إنّ الزعيم بورقيبة لا شكّ أنّه، لو كان لا يزال في شبابه، عند انطلاق «ثورة الشباب والكرامة»، لَكان أوّل المُعتزّين بها، ولأيّدها بكلّ اجتهاداته الفكريّة، ونضالاته السياسيّة.

لكنّ الرئيس بورقيبة، زعيم الحداثة، لو كانت إذّاك عينه حيّة ناظرة، هل يكُون راضيا عمّا عمّت به «الموضة» اليوم، من اتّخاذ أنواع القبّعات الإفرنجيّة - «هذا وقت البرنيطة»- تطلّعا إلى اكتساب مظهر من مظاهر الحداثة؟

ذلك أنّ المجاهد الأكبر، في تزعّمه حملة التّحديث، اقتحم مجالات أساسيّة - لم يسبقه إليها أحد، في البلاد العربيّة والإسلاميّة - وفي طليعتها جعل الأولويّة لاعتبار المقاصد، منها تُستمدُّ القواعد، بحسب تغيُّر الظّروف والمصالح، لأنّ من جوهر الإسلام التّمهيد للتطوّر الإجتماعي.

ومن المجالات التي اقتحمها المجاهد الأكبر أنّه أمر بإبطال العمل بما كان يُسمّى «الأرقام الهنديّة»، وتعويضِها بالتي تُعرف، تاريخيّا، بـ«الأرقام العربيّة» : وهي التي عمّ استعمالها، في سائر البلاد المتقدّمة اليوم. وهو يقصد بذلك، معا، تأكيدًا للأصالة التاريخيّة، وتيسيراً لمستقبل التعاون مع العالم المتقدّم.

وممّا كاد ينفرد به الرئيس بورقيبة أنّه كان ينظر، بعين الاعتبار والاهتمام، إلى سائر مراحل تاريخ البلاد : فكان أوّل مَن دعا، في خُطَبه، إلى أن تتولّى المدارس تلقين الشّباب المعلومات اللاّزمة عن كلّ مكوّنات تاريخ البلاد : شاملا فيها مختلف المراحل السابقة للعهد الإسلامي. وفي ذلك تأكيد لمختلف أوجه الذاتيّة التونسيّة، وتثبيت لتوجّهات إنسانيّة، تُهيّء المجتمع للتعامل، بأريحيّة كريمة، مع سائر المجتمعات التي تقتضي المصلحة التّعاون معها.

ولأنّ الرئيس بورقيبة كانت له ثقافة عربيّة متينة، وإلمام واسع بالحضارات الإنسانيّة - مِن كِليهما، اكتسب دراية بعُمق تأثير العمل الثقافي في تطوير المجتمعات - فقد كان يدرك ما يكُون للتعليم والثقافة من إسهام، في تركيز النهضة الاجتماعيّة، بكامل البلاد، ولدى سائر الفئات الشعبيّة. فوضَع للتعليم خطّة تهدف إلى التعميم، وإلى تَفتُّح المجتمع على عصره، وإلى جعْل الشباب يَجمعون بين الاعتزاز بثقافة وطنهم، وبين الإلمام بالحضارات الإنسانيّة، التي كان لأجدادهم إسهام في بعضها ؛ ممّا يجْعلهم يَقودون حركة التطوير : خاصّة بفضل ما يَحصل لهُم من إعمال العقل، ومن القدرة على التمييز بين الشكل والمضمون، في القضايا المصيريّة، ومن الدربة على طلاقة التعبير، بلسان عربي مبين - دُون ما يخالط، أحيانا، لِسان الكثيرين، اليوم، من رطانات، وكأنّ لُغتهم عاجزة عن السيطرة على المعاني العصريّة، وعن خلجاتها في الفكر.

ثمّ إنّ الرئيس بورقيبة أنشأ وزارة، من رسالتها المساهَمة في نشر الوعي المجتمعي، والمساعَدة على تثبيت عقليّة التطوّر، في مختلف فئات المجتمع، سمّاها وزارة الشؤون الثقافيّة، حمّلها رسالة حضاريّة لم يسبق لها مثيل، في البلاد الساعية إلى النموّ والتطوّر.

ولعلّ أوفق مدخل إلى التبسّط في مختلف وجوه هذه الرسالة، سؤال أُلقي في أحد الاجتماعات التي كنتُ أعقدها : إذ قال أحد الحاضرين - وكان من أسرة التعليم - «لنا وزارة للتربية الوطنيّة، فلماذا نحتاج إلى وزارة للشؤون الثقافيّة ؟».فممّا أجبتُ به، إذّاك - وربّما أيضا في مَواطن أُخرى - جملة من المسائل، قد يكُون من المفيد التذكير بها، ولو مختصرة، مقتضبة.

من ذلك أنّ أعمال الوزارة الجديدة مُتّجهة إلى جميع مكوّنات المجتمع - لا إلى الطفولة والشباب فحسب - وذلك بجعلهم قادرين على الإسهام في النهضة الاجتماعيّة، التي تهدف إلى رفع مستوى الفئات الشعبيّة، لِجعلهم يُدركون المقاصد التي ترمي إليها، لفائدتهم، ولصالح المجتمع، عامّة.

ومن إجاباتي، أيضا، توضيح مفهوم الثقافة، وبيان أهمّية وسائل العمل الثقافي، في غرْس جُذور النهضة الاجتماعيّة.

فقديما كان المثقّف هو الذي قام بدراسات عالية ؛ والثقافة إذن تتولّد عن تلك الدراسات، بالإضافة إلى ما يُؤخذ من الكُتب. أمّا الفنون، فكانت معتبرة لعِبًا ولَهوًا.

أمّا في عهد النهضة، فقد شملت وزارة الشؤون الثقافيّة سائر الفنون الموسيقيّة ←

والتشكيليّة، وكذلك المسرح والسينما. والمثقّف ليس بالضرورة الحامل لشهادات عالية ؛ بل كثيرا ما يكُون الذي اجتمعت لديه جملة من المعارف القاصدة، وله فيها من الإجتهادات ما يُميّزه، وما يخدم المجموعة الوطنيّة.

وبعْد أن كان الكِتاب يُعدُّ الوسيلة الأساسيّة لاكتساب الثقافة، إضافة إلى الدروس العالية، فإنّ الوسائل السمعيّة البصريّة – التي تعمّ كلّ المجالات، وتنفُذ إلى أقاصي البلاد، ويغلِب أن تكُون في تناول سائر الفئات الاجتماعية – قد أصبحت في طليعة الوسائل الكفيلة بِنشر الثقافة.

وبذلك بدأ التحقيق، تدريجيًا، لأهمّ المقاصد التي كان يرمي إليها الكفاح التحريري : وهي تحرير الفئات الشعبيّة من الجهل – الذي هو من أكبر أسباب «التخلّف» – وتعميم «الديمقراطيّة الاجتماعية»، التي من فوائدها تعميم القدرة على فهْم القضايا العامّة، وتهيئة الأجواء لتركيز «الديمقراطيّة السياسيّة»، التي إقامتها من وظائف النظام السياسي، ومن دعائمها نشر «الديمقراطيّة الاقتصادية»، التي هي من أهمّ عوامل الوفاق الوطني ؛ وكلّ ذلك في كنف السّعي الدّائم لتحقيق العدالة، سياسيًا، واقتصاديًا وقضائيًا.

وبتضافر المساعي الراميّة إلى تثبيت أركان النهوض الحضاري – السياسي منها والاجتماعي والثّقافي – فقد بدأت، فعلا، تتغيّر ملامح المجتمع، وتتطوّر قُدراته على محاورة سائر الأمم المتقدّمة التي يحتاج إلى التّعاون معها. فكان، بفضل التوجُّهات، الإنسانيّة والحضاريّة، التي فتَحتها له التوعية البورقيبيّة، أجدر بالاحترام، لأنّه أقدر على تبيّن مصالحه، والذود عن حقوقه. وفي ذلك، دعمٌ للتقارب بين المجتمعات الإقليميّة، العربيّة وغير العربيّة، بواسطة تقارب وجهات أنظارها، وبروز مِساحات متنامية من التعاون بينها، عند معالجة المشاكل المشتركة. أليس ذلك تمهيدا لإقرار السلام، في المجتمع الدُولي؟

لكن، كذلك، من وظائف العمل الثّقافي، التي اهتمّت بها الوزارة، إيقاظ الضّمائر إلى معاني المنزلة الإنسانيّة، وجعْل المجموعة الوطنيّة تتطلّع إلى إدراك ما يَكتنف المصير الإنساني من مغلّقات الغيب : وثقافتنا العربيّة، وحضارتنا الإسلاميّة، بما تتميّزان به من نشر مبادئ التضامن، ومن اعتماد العقل، وأخْذ بالأيسر، أليستا على جدارة عالية بأن تكُونا، لثورتنا القائمة، من أهمّ مصادر الاستيحاء – إضافة إلى ما لا يزال نابضا، لدى المجتمع، من الإرث البورقيبي ؟

ومن المفيد أن نذكّر بأركان الثقافة الإسلاميّة، وكذلك بأهمّ المفاهيم البورقيبيّة.

أركان ثقافتنا الإسلاميّة

أمّا ثقافتنا الإسلاميّة، فمنبعها مؤسّسة جامع الزيتونة، التي امتاز أغلب مشائخها بسعة العِلم، واعتدال الرّأي، ودائم الإشعاع على البلاد التونسيّة – وعلى البلاد المجاورة.

فالإسلام، بفضل هذه المؤسّسة المباركة، متأصّل، منذ قرون، في جميع فئات مجتمعنا : فلا حاجة بنا إلى حملات جماهيريّة، للتوعيّة بتعاليم الإسلام، إذ هي حاضرة ثابتة، جيلا بعد جيل، في ضمائر الجميع، كافّةً.

ثمّ إنّ ما قام به الرئيس بورقيبة من أعمال تحديثيّة، فمن خلال اجتهادات، طِبْقا للمنطق الإسلامي – لا من خارجه، مثل ما فعل أتاتورك – وبالاستناد إلى آيات قرآنيّة، مثل التي تتعلّق بتعدّد الزّوجات، وتعذّر العدل والإنصاف بينها، جميعا – وفي ذلك إشارة إلى أنّ الإسلام يُحبّذ الاقتصار على زوجة واحدة.

أمّا الحجاب، فالآية المتعلّقة به واضحة، إذ تقول إنّه على المؤمنات أن «يَضْرِبْن بخُمُرِهنّ على جُيوبهنّ»، لستر الجيد، كما جاء في تفسير الشيخ ابن عاشور – ولا شكّ ما يليه من المفاتن.

أمّا فيما يتعلّق بالقضايا الحضاريّة العامّة، فالذي يُؤخذ، من الكثير من الآيات، وجوبُ اقتران الإيمان بالصالحات، وإشاعة التّضامن والتّراحم بين النّاس. فالأعمال الصالحة والمعاملات الوفاقيّة، أليس كلٌّ من هذه وتلك، عند التأمّل، لَممّا ينفع العِباد والبلاد؟ وهي جميعا عِماد الوئام الاجتماعي. وحبّذا لو تلتزم بها أغلبيّة المواطنين : فتتكاثر الأعمال التي تنهض بالمجتمع، فكريًا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، والتي، بفضلها، يَشيع التّضامن والتّعاون، في كلّ الأحوال، وبين جميع الفئات الاجتماعيّة.

وجوه من الإرث البورقيبي

أمّا الإرث البورقيبي، فهو جدير بأن يُعتبر من أهمّ مصادر الاستيحاء الحضاري، عندنا ؛ وبالأخذ به تتمكّن ثورتنا القائمة من تحقيق أهدافها. ذلك أنّ البورقيبيّة تتّسم مبادِئُها بشُمول المعاني الضّروريّة لاستقامة المجتمع، إذ مِن محاورها :

• جعل مقاومة التخلّف في طليعة أولويات الدولة واهتمامات المجتمع، مع توعية المواطنين بما عليهم من واجب الإسهام في هذه المعركة الحضاريّة، الطويلة المدى ؛

• ومن هذا الإرث تعبئة المنظّمات الاجتماعيّة، لتقوم بما عليها من مسؤوليات، في مقاومة التخلّف، ولإقناع الفئات الشعبيّة – وبعض الفئات العالية الغالية أيضا – بواجب التصبّر، نظرا إلى أنّ تحسين الأحوال لا يكون إلاّ تدريجيًا، بحسب التقدّم في تخليص المجتمع من التخلّف، وبقدر ما يتسنّى للاقتصاد الوطني من إنشاء طاقات إنمائيّة، بكدّ أبناء الوطن، مؤزّرا بالتعاون مع مجتمعات متقدّمة.

• ومن إرث بورقيبة، أيضا، أن تلتزم الدوائر الحاكمة مباشرةَ أعمال التطوير، في تناغم دائم بين القِيم العصريّة والأخلاقيات الإسلاميّة.

• أمّا، في مجال العلاقات الخارجيّة، فممّا أكّدته البورقيبيّة اعتبار الروابط، بين الدُول العربيّة، مدخلا أساسيّا لإقامة التّعاون فيما بينها، من أجل النّهوض بجميع شعوبنا ؛ أمّا العلاقات الخارجيّة، عامّةً، فهي، وسيلة لتسريع التّنمية، في كنف احترام سيادة كلّ دولة من دُولنا، وبما يتناسب مع أوضاعها.

مآخذ على البورقيبية

على أنّنا نعلم ما كان، لبعض الأطراف السياسيّة، من مآخذ على الرئيس بورقيبة، إذ تتّهمه بالميل إلى الحُكم الفردي، وتنكّب المنهج الديمقراطي. وهذا محلّ جدال بين الطرفين، إذ الرئيس كان له نظريّة في ذلك : فهو يعتقد أنّ مجتمعنا لم يبلغ بعدُ درجةَ النُضج، التي تمكّنه من الاستفادة من المنهج الديمقراطي ؛ ويَخشى أن يُفضي ذلك إلى التسيّب، والخروج عن القانون، والتمرّد على مقاصد النهّضة ؛ ويرى أيضا أنّ، في تكاثر الأحزاب، تشتيتًا للجهود الوطنيّة، وإضعافًا لتماسك المجتمع، في زمن لا يزال فيه بناء الوحدة الوطنيّة غير مُكتمِل.

لكن، بمرور الزّمان، يظهر أنّ في هذه التخوّفات، قدرًا من المبالغة ؛ لا سيّما أنّ الرئيس أعلم النّاس بما تحتاج إليه الديمقراطيّة من توطئة، ومن توخّي المراحل، لتنغرس في العقول.

لكن، اليوم، أليس الوضع على عكس ما كانت عليه الأمور، في العهد البورقيبي: فتعدّد الأحزاب قد بلغ أرقاما خياليّة، قد لا تُصدَّق. أفليس ذلك عيْنَ الشطط ؟ والتطلّع إلى مختلف الحُرّيات اقترن بأنواع السلوكيات الخارجة عن الجادّة : أليس ذلك من عتبات الفوضى ؟

البورقيبية الحديثة

أمّا البورقيبيّة الحديثة، التي يضطلع بالاجتهاد في بلورتها، الجيل الثاني، سواء مِن حول رئيس الدولة، الأستاذ الباجي قائد السبسي، أو في دوائر أخرى – وكان من الأجدر أن تتضافر الجهود بين الجميع – فمن رسالتها المساعَدة على إيجاد «كلمة سواء»، تجتمع لديها أغلب القُوى الوطنيّة الفاعلة، عند معالجة القضايا المصيريّة.

وقد وقع فِعلا التّمهيد لذلك، من خلال «وثيقة قرطاج». لكن، بما أنّها قد تناولتها أطراف بالنّقد وعدم الرِضى، فمن الصالح تطويرها، وتطعيمها بالسّديد من المقترحات – والمنطق البورقيبي مع التفتّح الدائم لِما هو أفضل.

وفي هذا الصّدد، لا بُدّ من مصارحة القوى الفاعلة في المجتمع – أحزابا ومنظّمات اجتماعيّة – بأنّ النّضال الأوفق إنّما هو بالإسهام في «البيان والتبيين» لوجوه العمل السياسي المستقيم، وللمقاصد الاجتماعية التي لا بُدّ أن تكون سجاف الخِطط الإنمائيّة؛ وحبّذا لو يُدركون أيضا أنّ التوغّل في المواقف الانتقاديّة، والانهماك في المشاغبات الفئويّة، لَممّا يُؤدّي حتما إلى الفُرقة، في فترة يحتاج فيها مجتمعنا إلى رصّ الصُفوف – عن طواعية، نعم، لكن أيضا عن وعي، وعن يقظة.

وفي نفس السياق، المتعلّق بصنع التّوافق الوطني، فالملاحظ أنّ «ثورة الكرامة والشباب» تُعاني من انخفاض عُنفُوانها. فهي في حاجة إلى وقفة تأمّل، تمكّنها من مراجعة جملة من الأمور، في طليعتها ما يقع فيه الكثيرون من خلط بين العمل الثوري والتسيُّب الفوضوي. ولأنّ أعمال السّوء تكاثرت، في مختلف المستويات الاجتماعية، فقد يكُون أيضا من المفيد إعادة إرساء الأخلاقيات الأساسيّة، في العائلة وفي المجتمع – بواسطة المدارس خاصّة – بما يُؤلّف بين حُرّية الرأي، وبين ضرورة التقيّد بالصالح العامّ، والاقتداء بالقِيم الحضاريّة، والوقوف عند الواجبات الأخلاقيّة.

الأخذ بالثّالوث الحضاري

إذا ما تسنّى لبلادنا الاهتداء إلى إعمال العقل في المقاصد الإسلاميّة، وإلى إحياء الإرث البورقيبي، بما تجتمع عليه كلمة الأغلبيّة في المجتمع المدني ؛ وإذا ما تسنّى للثورة التزام الانضباط بقِيمها الأصليّة ؛ فإنّ، في هذا الثالوث الحضاري، ما يُقنع الشباب بأهمّية الأخذ بـ«الكيف»، مُرجّحًا على المطالبة بـ«الكمّ» : وذلك بفضل ما يتمّ إرساؤه، تدريجيًا، من الوئام المجتمعي بين المواطنين، ومن سداد الحُكم في قمّة الدولة، ومن تقيّد كلّ من أهل الفكر في اجتهاداتهم، وأهل السياسة في ممارساتهم، بما ينعقد عليه الوفاق من مصالح الوطن، دُون سواها من الاعتبارات : فإذّاك إذن تكُون تونس مُرشّحة للالتحاق بالدُول المتقدّمة.

وبتضَافُر الجهود الرامية إلى تثبيت الوفاق الوطني، مع السّعي إلى ترويض الثّورة على مسارها الأصلي، فإنّه يكُون لبلادنا، إذّاك، أن تعتزّ، فعلا، بأنّها، كما قِيل عنها، «أرض يزدهر فيها الفكر»، ويُجدي نفعا الحوار الرّصين الشّامل بين أبنائها.

وبذلك يحقّ لتونس أن تتطلّع إلى استعادة زعامتها الحضاريّة، المستندة إلى استقامة تصرّفات الدولة، وإلى السّعي الدّائم إلى خدمة مصالح الشعب، وإلى التزام ضوابط التّعاون الكريم النّزيه، في علاقاتها مع سائر الدُول المتقدّمة، بحسب «القسطاس [الدبلوماسي] المستقيم».

ش.ق.

ماذا فعل التونسيون بعد بورقيبة ؟

ليس المديح وحده الشّكل المناسب للتعبير عن القناعات والانتماء إلى فكر أو مشروع معيّن ...بل إنّ النقد أحيانا هو أرقى طرائق التّعبير عن التّقدير والامتنان لشخصية مهمّة في تاريخنا الشخصي أو الاجتماعي بشكل عامّ. أي أنّ نقد بورقيبة هو مهمّة البورقيبيين في حين أنّ رفضه وتجريده من كلّ حسنة تذكر، هو دور الخصوم اللدودين.

في هذا الإطار من القراءة والنّقد، تتنزّل ملاحظاتنا النقدية للسياسة البورقيبية خلال فترة حكمه الممتدّة من 1956 إلى 1987.

لا شكّ في أنّ بورقيبة هو رجل شغل بال التونسيين أكثر من أيّ رمز آخر عرفته بلادنا: فهو باني الدولة الوطنية الحديثة وهو صاحب المشروع التحديثي الجريء الذي لا تزال تونس تعيش على منجزه.←

• بقلم د. أمال موسى

لكن نلاحظ أنّ بورقيبة قد تحوّل في السنوات الأخيرة إلى أكثر المواضيع إثارة للجدل والاختلاف أي أنّه محلّ تجاذب أيديولوجي حقيقي بين أطراف حريصة على تقديسه والذّود عنه وأطراف أخرى مهووسة بشيطنته والتعامل معه ليس من زاوية الخصم الأيديولوجي بل كعدوّ حقيقي ترك من الآثار ما يصعب محوها حتّى بعد موته.

إذن بورقيبة أصبح موضع خلاف ما فتىء يتعاظم وتشتعل الحرائق والخصومات الجديّة حوله. وهو يتراوح – أي بورقيبة- إذا ما أردنا حصر المسألة بين صورتين اثنتين : صورة بورقيبة الأب وصورة بورقيبة العدوّ. بالنّسبة إلى من يتبنّون صورة بورقيبة الأب هم الذين يعترفون له بدوره التاريخي في بناء الدولة التونسية ويدركون أهمية الإصلاحات التي قام بها ومثّلت ثورة حقيقية في مجال الأسرة والعلاقة بين الجنسين وفي هدم الهياكل التقليدية للمجتمع وإعادة بناء العقول على حدّ تعبير عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو. إنّ تونس هي

مطبوعة بنظرة بورقيبة إلى العالم وبروحه وبعبقريته ولولا مشروعه التحديثي لما استطاعت بلادنا تجاوز امتحانات كثيرة. فمكاسب الحكم البورقيبي نوعيّة ومتغلغلة في البناء الاجتماعي للمجتمع التّونسي: الرّجل أصدر مجلة الأحوال الشخصية وانتصر لحقوق المرأة وأقام المحاكم المدنية واشتغل على عقلنة التونسي أكثر ما يمكن. وهو من راهن على التّعليم ودمقرطته ومجانيته واهتمّ بصحة التّونسي. لقد كان التونسي جسدا وعقلا ومعرفة وكرامة الشغل الشاغل لبورقيبة ونجح في تشكيل مجتمع على نحو جعل فيه المجتمع التونسي يختلف عن المجتمعات العربية الأخرى فيما يتّصل بالعلاقة بالتاريخ والثّقافة والذّات العربيّة الإسلاميّة والأخر المتعدّد ثقافيا. لذلك لطالما وصف بورقيبة صاحب الكاريزما ورجل الدولة الثّاقب بالأب الرمزي للتونسيين. وهو كذلك لأنّه رجل دولة وصاحب مشروع وصاحب مكاسب وإنجازات، إضافة إلى أنّه أحبّ تونس كما لم يحبّها سياسي آخر. طبعا بورقيبة هو مدرسة في الفعل السياسي والحضور ويمثّل مرجعيّة مغرية للعديد من الأحزاب والسياسيين الموجودين اليوم والفاعلين في الحقل السياسي الرّاهن. بل إنّ في استحضاره مجال تسابق وتنافس لتحقيق أقصى ما يمكن من مشروعية. البوقيبيون اليوم يرون أنّ تونس لاتزال تتمعّش من المنجز البورقيبي، الذي رغم ما عرفه هذا المنجز من تدهور وتراجع إلا أنّه يبقى حامي البلاد ومصدر صمودها وعدم انهيارها بسبب ما عرفته من تشويش أيديولوجي هائل مسّ الشّباب والنّساء. ولكن ما لم ينتبه إليه البورقيبيون هو أنّهم لم يفعلوا للمشروع البورقيبي شيئا يذكر وأنّ وجودهم في الحكم لم يوظّفوه لدعم المشروع البورقيبي كما يجب. فكانت أغلبيهم عاشقة لبورقيبة أو مستثمرة لرمزيته دون استيعاب عميق وصادق للبورقيبية فكرة ومعنى ومشروعا وطريقة في التّفكير والفعل السياسيين وتمّ التغافل عن حقيقة هي أنّ البورقيبية مشروع مفتوح على التراكم والإنجاز والبناء.

هذا حال من رأى في بورقيبة الأب ..فكيف حال من نصّبه عدوّا ؟

لنأتي الآن إلى الفريق الذي يعادي بورقيبة ويرى فيه أصل البلاء في تونس: هؤلاء لا يعترفون بأيّ مزيّة للمشروع البورقيبي ومقاربتهم بنيوية على طريقتهم. فالمشروع التحديثي لبورقيبة مرفوض بالنّسبة إليهم جملة وتفصيلا وما يسمّى المكاسب التحديثية هم يعدّونها الأخطاء التّاريخية لبورقيبة. طبعا نفهم الاختلاف باعتبار أنّ من حقّ أيّ طرف أيديولوجي أو سياسي أن يتبنّى مشروعا للتغيير الاجتماعي خاصّا به. ولكن ما نراه في السنوات الأخيرة أي مرحلة ما بعد الثّورة هو الاستعداء ومحاولات التّهميش المقصودة بشكل لا يتنزّل بالمرّة في إطار نقاش وطني عقلاني. هناك تعسّف واضح من طرف أعداء بورقيبة على بورقيبة وهو تعسّف ضد التّاريخ وضدّ الخصائص السوسيولوجية للمجتمع التونسي . فالإصلاح تعتّق مع بورقيبة من منطلق كونه زعيما يتمتّع بصلاحيات الفعل والمبادرة والجرأة. كما أنّ الأفكار الإصلاحية نبتت في التربة الثقافية السوسيولوجية مع أعمال الوزير خير الدين وتواصلت مع المفكّر الاجتماعي الإصلاحي الطاهر الحداد من خلال كتابة المرجع الأقوى لمجلّة الأحوال الشخصية « امرأتنا في الشريعة والمجتمع» وأبو القاسم الشابي صاحب المقاربة النّقدية للخيال الشعري عند العرب ...لقد بدأت عجلة النّقد تدور قبل بورقيبة وهو من سقى محرّكها وقطف ثمارها وقدّمها طازجة للمجتمع التونسي. أي أنّ أعداء بورقيبة ينكرون الاستعداد الثّقافي التونسي لتقبّل مشروع بورقيبة التحديثي ويتعاطون معه كمشروع صلب ثابت والحال أنّ كلّ مشروع يتّصل بالتحديث هو قائم على النّقد المستمر، باعتبار أنّ الحداثة مشروع مفتوح في الزّمن ومرن في كيفية تواصله مع الثقافات والرّؤى والواقع والتّاريخ.

من المهمّ جدّا عقد علاقة توافق مع مشروع الدولة الوطنية الحديثة: توافق حقيقي فكري وليس فقط سياسيا. ولا ننسى أنّ العداء هو ليس بين أشخاص بقدر ما هو تنافر بين المرجعيات. من ذلك أنّ أطروحات حركة الاتجاه الإسلامي قبل أن تصبح حركة النهضة وما قبل ذلك أيضا كان من غير الممكن التواصل مع إصلاحات بورقيبة بحكم طابع المعارضة الراديكالية الاحتجاجية من جهة، وبحكم تعارض المرجعيات والمشاريع من جهة ثانية. وبناء على مواقف حركة النهضة من الدستور الجديد التي كانت طرفا في كتابته وفي المصادقة عليه يصبح في الحقيقة لا معنى لموقف الاستعداء الذي يحمله البعض من الإسلاميين ضد بورقيبة ومشروعه تحديدا.

فكلّ الفاعلين اليوم في الحقل السياسي هم بورقيبيون شاؤوا ذلك أو أبوا.

لا شكّ في أنّ للمشروع البورقيبي نقائص تماما كما له مكاسب ومنجزات ولكن لن يستقيم النّقاش الوطني إلا بضمانتين اثنتين: الأولى توضيح الموقف من المنجزات والانخراط فيها لا فقط سياسيّا بل أوّلا وأساسا ثقافيا وفكريا، والضمانة الثانية المتّصلة بدورها بالأولى تتمثّل في أنّه لا مجال لاستكمال النقائص في معزل عن تبنّي المكاسب والدخول في تجربة المشاركة في عملية البناء الخاصّة بما هو منشود. طبعا للتّجربة البورقيبية نقائص عدّة لعل أهمّها تهميش التعليم الديني والمؤسّسة الزيتونية معرفيا، الشيء الذي خلق تراكما من الفراغ الديني والجهل بالدّين استثمرته التنظيمات الجهادية التكفيرية وهو ما جعل العالم يُفاجأ بظاهرة انتداب هذه الشبكات للشباب التونسي الذي هو سليل تجربة رائدة في العلمنة والتحديث. كما أنّ الانشغال بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية وإهمال البعد السياسي منها لا يمكن أن يحسب ضدّ بورقيبة، بل هي من المؤاخذات التي من الأجدر توجيهها إلى النظام الذي تلى الحكم البورقيبي لأنّ التنمية مسار كامل يتراكم شيئا فشيئا ولم يكن بوسع بورقيبة أن يخوض غمار التنمية بكل أبعادها والحال أنّ المجتمع قد خرج من الاستعمار للتّوّ آنذاك ويحتاج إلى تأهيل اجتماعي كامل. يبدو لي أنّ بورقيبة هو من يحقّ له نقدنا بشدّة اليوم: ماذا فعل التونسيون بعده؟ أي تراكم جديد تمّ تحقيقه؟ ثم إنّ بورقيبة لم يدع في خطاباته الكثيرة أنّه قدّم مشروعا كاملا ومتكاملا إلى تونس.

إنّ الخطاب المسكوت عنه صراحة هو أنّ بورقيبة عبّد الطريق بشكل جعلها لا تتفاعل إلاّ مع مشاريع للتغيير الاجتماعي تتوافق والهندسة التحديثية للدولة التي أسّسها بورقيبة. بورقيبة كان صاحب مشروع ورؤية قابلين للنقد والتقويم ولكن ليس للهجاء والاستعداء.

آ.م.
شاعرة وأستاذة جامعية (علم اجتماع)

في توصيف الشّعبويّة

• بقلم منجي الزيدي

تُلقي السّياسة بظلالها الكثيفة على حياة المجتمع التونسيّ اليوم. ومن نَزعَاتها المؤثّرة في السّلوك الاجتماعيّ العام الشّعبويّة. وهي كلمة كثيرة التّداول في الفضاء السّياسيّ- الاتّصالي، غالبًا ما تضيع دلالاتها السّياسيّة والسّوسيولوجيّة باختزالها كأداة وَصم (Stigmatisation) بين الخصوم السّياسيين في نزاعهم اليوميّ الضّاخب؛ فاليسار شعبويٌ بالنّسبة لليمين والعكس بالعكس. وهذا ما يَحول دون التّمعّن في آثارها الاجتماعيّة والسّياسيّة.

الشّعبويّة ،إجمالاً، نزعة سياسيّة تقوم على احتكار الانتماء إلى لشّعب والانحياز إلى قضاياه، والدّفاع عن حقوقه والذود عنه ضد كل القوى «المتربّصة به»، واعتباره المرجع الوحيد والسّلطة المطلقة. وهي تعتبر نفسها «الممثل الشرعي والوحيد» للشعب و«النّاطق الرسميّ» باسمه، وما سِواها عَدُوٌ، وفي أحسن الحالات خصيمٌ.

ظهرت

الشّعبويّة تاريخيًا في نهاية القرن التّاسع عشر بالتّوازي في روسيا وفي أمريكا. وكان ذلك من خلال حركات اجتماعيّة نشأت في صفوف الفئات الضّعيفة من العمّال وصغار المزارعين والتّجار والحرفيين في الأرياف والقُرى. واشتركت هذه الحركات في معاداتها للرأسماليّة والمراكز الحضريّة الكبرى والنّخب العُليا. ولدت الشّعبويّة طوباويّة في انتصارها للشّعب. وترعرعت على هُدَى مقولة الرّئيس الأمريكيّ الرّاحل (ابراهام لينكولن) «حكم الشّعب بالشّعب للشّعب». و لكنّها أنتجت تيّاراتٍ فوضويّة وعدميّة وعنصريّة، منها الفاشيّة والنازيّة والفوضويّة النقابيّة وصولا إلى «الماكارثيّة» التي قامت على مُعَاداة الشيوعيّة وملاحقة أتباعها ونشر ما عُرف بـ«الخوف الأحمر». من وجهة نظر سوسيولوجيّة، تنتعش الشّعبويّة في ظلّ الأزمات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي تَنُوء تحت أعبائها الفئات الضّعيفة. فتستثمر في المعاناة المعيشيّة وتعمل على أن تكون الطّبقات الشعبيّة في حالة استنفار و غضب دائم. وهي بذلك تُذكي نزعات الصّراع الطّبقيّ والتّباغض الاجتماعيّ. كما تثير الشّعبويّة النّعرات العرقيّة والعنصريّة. وتستحثّ نوازع الانغلاق على الذّات وكُره الأجنبيّ واعتباره مصدر تهديد وجوديّ وثقافيّ واقتصاديّ، و هذا ما نشهده في العديد من المجتمعات المتقدّمة.

الشّعبويّة تُسبغ على الشّعب صفاتٍ أسطوريّة. وهي كما اعتبرها المفكّر العربيّ (عبد الإله بلقزيز) «ميتافيزيقا» تعكس «نظرة أنتروبومورفيّة بمفردات جديدة». فهي ترفعه إلى السّماء كبالون منفوخ بالهيدروجين، وتخرّ به في نفس الآن كحجرٍ في مكان سحيق. وتتقابل الأضداد في وصفه، فهو البطل وهو المستضعف، وهو صاحب الثّروة وهو المُعدَم.. إنّه أسلوب الحاوي المُخادِع (Illusionniste) يطمس الحدود بين الأشياء ويخلط الأوراق (Tour de passe passe) الشّعبويّة تستمدّ مضامينها وأسلوب أدائها من السّجل«الشّعبيّ». وهي تستثمر في «الشّعب الشّعبيّ» Le peuple Populaire على حدّ تعبير عالم الاجتماع (Gérard Mauger). ينتقي الشّعبويّ ألفاظه ولهجته فيجعلها قريبة من «الشّعبيّ». ولكنّه غالبًا ما ينغمس في مستنقع المجاري بما ترسّب فيه قَرَفٍ لفظيّ. فلا عجب إذًا من تدهور مستوى التّعامل الاجتماعيّ بين النّخب وبين العوام إلى الحضيض وانحطاط خطاب المجتمع إلى أسفل سافلين. تستهدف الشّعبويّة النّخبة وتحطّ من شأنها. و تعتبرها طائفةً تعيش في برجٍ عاجيٍّ، وتنعم بالخيرات على حساب «الشّعب الجائع». وهي بالتّالي تَستصغِر الجهد الفكريّ والنظريّ والتّنظيميّ. الشّعب يَعلُو ولا يُعلى عليه. وما تفعله الشّعبويّة هو تَسويةٌ نحو الأسفل (Nivellement par le bas) أي بعبارة أخرى تعميم «الشّعبيّ والعاميّ» .

الشّعبويّة ظاهرة خطابيّة تقوم على تجييش العامّة وحشدها بعد شحنها بطاقة انفعاليّة ذات ضغط عالٍ. والرابط بين الشّعبويّ وأنصاره «عاطفيٌّ» وليس سياسيًّا. هو يُقدِّم تشخيصًا صاخبًا متشنّجًا لواقع مُعقّد يقتضي التّدبير العقلانيّ. ينتهج التّعبير عن الغضب، ويُصَعِّدُه إلى درجة الحقد، مستندًا إلى سجلٍّ من الألفاظ العنيفة المُحقِّرة من الخصم والمُمعِنة في إذلالِه عَلَنًا خصوصا إذا كان يُمثّل السّلطة. وهذا الخطاب بإفراطه ومبالغته يفقد كل معنى وكما قيل:
.Tout ce qui est excessif est insignifiant

الشّعبويّة تُلحِق بالغ الأذى بالاستقرار الاجتماعيّ والسّلوك الدّيمقراطيّ. فهي تُبرّر العنف إذا مارسته جماعاتٌ باسم الشّعب، وتعتبره احتجاجًا شرعيًا و«خطًّا أحمر»، وتُجَرِّم كل تنديد به. وترى في الاعتداء الذي تمارسه فئة مُعيّنة على المجتمع بأسره حقًّا من حقوق الإنسان. ولا يضيرها تعطيل حياة البشر، وكسر شوكة القانون، وتمزيق أوصال الدّولة، وتحقير الرموز، والاعتداء على التّاريخ، وبث الفتنة، ما دام ذلك يُرتَكب باسم الشّعب. وهي بذلك تُغذّي المطلبيّة المتشدّدة (كلّ شيء الآن وليس غدا و لا تراجع) حتّى وإن كان ذلك على حساب أمثالهم من أبناء «الشّعب العظيم». وبهذا تُعَرِّشُ الأنانيّة والفئويّة المهنيّة والجهويّة والقبليّة و يتمّ تبديد الثّروة الجماعيّة. كما أنّها تدوس على الديمقراطية فلا وزن للأغلبيّة أمام الأقليّة مادامت الأقليّة تملك «تفويضًا حصريًا» من «كائن هُلَامِيّ» اسمه الشّعب. وهي بذلك تتسبّب في عَاهَةٍ سياسيّة اسمها «استبداد الأقليّة». الشعبويّة لا تُقدِّم برنامجًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو ثقافيًّا. ولاتكترث بالتّخطيط ولا تعبأ بالموازنات. تقف على الرّبوة وتصرخ وتُقذِع القَولَ، وترمي بالحجارة وتختفي وراء ظهر الشّعب. ومع ذلك فهي لم تنشأ من فراغ. فهي تولد وتترع في محيط اجتماعيّ مستعدّ لاستقبالها وتَبَنّيها والتأثّر بها، وواقع يتّسِم بضعف التّنظيمات السّياسيّة والثّقافيّة وتقهقر روح المواطنة وارتفاع منسوب الجهل، زيادةً على جنوح بعض وسائل الإعلام إلى اعتماد «الشّعبيّ» أصلاً تجاريًا.

الشّعبوي مُحَرِّضٌ، بالمعنى الذي بيّنه علماء نفس الجماهير. وهو لا ينتمي إلى رجال الفكر بل هو خطيب يتقن دغدغة الغرائز. وهو بالتّالي يبتذل الشّعب حين يتعامل معه كحَشدٍ فاقدٍ لكلّ وعي أو كقطيع يُسَاق بالصِّياح. وهو يُلحِق به بالغ الأذى حين يبيعه الأوهام ويجرّه إلى ممارسة التّخريب. والحال أنّ مسؤولية السياسيّ تثقيف الجماهير وتنظيمها. هل أخطأ (أنطونيو غرامشي) حين كتب من غياهب سجنه عن دور الأحزاب في تكوين قادة المجتمع المدنيّ والسّياسيّ، وأنّه دون ذلك يكون فسادُ الحياة السّياسيّة والبرلمانيّة...وبالتّالي «فساد الحياة الثّقافيّة والنّقص الرّهيب في الثّقافة الرّفيعة. فبَدَلاً من التّاريخ السّياسيّ نجد معرفةً واسعةً خاليةً من الحياة، وبَدَلاً من الدّين الخرافةَ، وبدلاً من الكُتُبِ والمجلّاتِ العظيمة الصُّحفَ اليوميّة، وبَـدَلاً من السّياسةِ الجادّة المشاجرات العابرة والمعارك الشخصيّة»؟!
ألَيس هذا واقعنا اليوم؟.

م.ز.
أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاش

صيّـــاد وحـوتـــو م المـــرشـــي!

• بقلم عادل الاحمر

كنت سابحا في خيالي، أفكر في حالي وحال الزوّالي، عندما رنّ جرس جوّالي، فأخرجني ممّا كنت هائما فيه من غلاء للأسعار، وانهيار للدينار، وانغماس في الديون، تتساوى فيه الدولة والمواطن المغبون، ومن خوف مستمر من قصّان للشهرية، قد يحدث بين صبح وعشيّة... نظرت في شاشة الجوال، لأعرف من هو ابن الحلال، الذي بندائه أزعجني، وعن تفكيري أخرجني، فإذا هو صديقي العيّاش، وكان لم ينهض بعد من الفراش، باعتبار أنّنا كنّا يوم أحد، والعيّاش في ذلك اليوم ما يعرف مع النوم حتى شي وحتى حدّ.

وما إن نطقت بالسلام، حتى غمّني صديقي بالكلام : «هنّينا يا صاحبي هنّينا ، عندي ليك اليوم أخبار زينة»، فقلت متهكّما : «اشنوّه؟ لقيت لقيّة ولا زادوك في الشهرية ؟»، وكنت أعلم أنّ أخبار العيّاش المفرهدة للبال، هي التي لها علاقة بالمال، وأسرع صاحبي بالإجابة: «لا لقيّة ولا شهرية، ولا فلوس ولا دحوس، خوك بطّل ع الدخان والشيشة، وما عادش عندو حشيشة». ولما لاحظ أنّي لم أعلّق وكأنّ الأمر لا يعنيني، عاد ليقول : «آش بيك ساكت ؟ راني نستنى فيك باش تهنّيني !». فقلت : «ياخي قداش تهنّي من مرة، وأنت كل شهرين تعيد الكرّة ، هاك بطّلت ، هاك رجعت، واحنا كي تبطّل نهنّيو، وكيف ترجع ننهيو».

عند ذلك تحمّس العيّاش وكبس روحو، وصاح حتى طلع بلحوحو: «لا يا سيّد، قرّرت وأنا صادق، باش نتخلّى، كيـــف مـا يقول سامي الفهري في لعبـة الصنـادق، إلى الأبـد وبصفة نهائية، عن التدخين والتشييش م اليوم لعشية. والمرة هاذية قراري صحيح، ووعد أخذته على نفسي صريح. وباش ما يعاودش يطيّحني الدخان، نصحني بعض الأصدقاء والخلاّن، أن أغالبه بهواية خفيفة ساحرة ، تعين على الصبر والمثابرة». قلت : «وما هي ؟»، فأجـاب: «صيد السمك بالصنّارة، وفيها أكثر من فائدة بالأمارة، وليس أقلّها تدبير حوتك بلاش، بعد ما طلعت أسعارو كيف لفلاش».

ومنذ ذلك اليوم، وبعد أن اشترى العياش لوازم هوايته البحرية، صار ينتقّل كلّ سبت وأحد بين حلق الواد وبنزرت والهوارية، ليعود من كل غزوة بصيد وفير، وأنواع من السمك فيها العقل يحير. والفضل في ذلك لصنّارة، ولزهر عند العيّاش يكسّر الحجارة، أو هكذا اعتقدنا إلى أن رأيته يوم سبت في المرشي سنترال، وهو يشتري من السمك أحسن الأنواع والأشكال، ويضعها في قفته بسرعة كبيرة، وكأنّه يخفي عن الناس جريمة خطيرة. فأسرعت إليه وكمشته، وعلى فعله فضحته، فبهت الذي كفر، واصفرّ وجهه واكفهر، ثم عادت إلى وجهه الدماء، وخاطبني دون حياء : «ياخي ديما في جرّتي سي الشباب، واقف لي في كل باب ؟ برّه عاد احكي للحومة الكل، واظهر فيها بطل، قال اشنوه العيّاش عامل فيها صيّاد هبال ، وهو حوتو م المرشي سنترال». فقلت للعيّاش : «هات قفة الحوت، وسوف ألتزم بالسكوت»، فناولني إياها وهو يتمتم : «لي قفة حوت تسكرلو فمو، يلعن ... (توت، توت : إشارة الرقابة). ثم تراجع في لحظة، وافتك منّي القفة : «والله لاتراها وبرّه احكي لي تحب، أنا م اليوم راجع لشيشتي توسّع لي بالي وبأقل مصروف وتعب».

ع.ل

برج الضيافة بصفاقس
لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النّزل ذات الطابع المميّز» Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثّف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وعدم تجاوز طاقة الإيواء 50 سريرا وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.←

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 وISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

فضلا عن الخدمات الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+
sfax@hotelborjdhiafa.com
برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

مسارات الأزمة في ليبيا

بين الاستحقاقات الانتخابية وإعادة الإعمار أو الانفراج الأمني

في الوقت الذي كانت فيه دبّابات الجيش العربي الليبي ومدافعه تدكّ مواقع المجموعات الإرهابيّة القادمة من التشاد والسودان في عاصمة الجنوب سبها وتعلن بذلك انقلاب الصورة الجيوستراتيجية في البلاد والتحاق إقليم فزّان بمناطق نفوذ المشير خليفة حفتر، كان المبعوث الأممي السيد غسّان سلامة يسرد على مسامع ممثلي الدول داخل مجلس الأمن مأزق الاتّفاق السياسي وانسداد أفق التوافق بين الفرقاء. لهذا التزامن رمزية مهمّة في ليبيا لأنّه يُؤشّر لمدى انفصام المسارات السياسية والميدانية. الدوائر الدولية وبعض الدول الإقليمية تراهن على استكمال الاتّفاق السياسي المتعثّر بالاعتماد على شرعية سطحية وأجسام مؤسّساتية منقسمة ومهترئة، في حين يعمل الجيش وحلفاؤه على إعادة صياغة الجغرافيا العسكرية ورسم ملامح الواقع الميداني على امتداد البلاد.←

• بقلم الدكتور رافع الطبيب

في الإحاطة التي قدّمها لأعضاء مجلس الأمن في 21 مارس 2018، أشار السيد غسّان سلامة إلى أسباب تعثّر الاتّفاق السياسي الذي أنجزه الفرقاء الليبيون في 17 ديسمبر 2015 بمنتجع الصخيرات المغربي وعدّد أهمّها، مؤكّدا استحالة التقدّم على مسار المصالحة وتوحيد المؤسّسات وبناء شرعية جديدة في ظلّ تدفّق السلاح على البلاد برغم الحظر الأممي وتفاقم الأزمة الاقتصادية والماليّة وتواصل التصعيد الميليشيي في المناطق المحاذية للعاصمة طرابلس حيث تعمل بعض المجاميع القريبة من المفتي المعزول الشيخ الصادق الغرياني وحلفائه من الطيف الإسلامي، بما في ذلك المجموعات الإرهابيّة من أنصار الشريعة ومجالس شورى المجاهدين وسرايا الدفاع وفلول داعش، على إعادة حشد قواتها في انتظار الهجوم على الوحدات التي أعلنت ولاءها للحكومة المدعومة دوليّا برئاسة السيد فائز السرّاج. إنّ التقييم الذي قدّمه المبعوث الأممي يتّفق في أهمّ نقاطه مع التخوّفات التي يعبّر عنها أوسع الطيف السياسي والمجتمع في ليبيا اليوم، خصوصا في ما يتعلّق بالصعوبات التي برزت أخيرا في مسار إنجاز الانتخابات العامّة والتي يرجو الجميع أن تسهم في حلّ معضلة الشرعية وتركيز حكم يتمتّع بأعرض تمثيلية لليبيين الذين عانوا من انقسام الأجسام التشريعية وتدخّل القوى الخارجية، ومن ضمنها الأمم المتّحدة، في فرض الحكومات دون الرجوع إلى الصندوق وتحكّم أمراء الحرب في مصائر الناس، لاسيّما في المنطقة الغربية، لغياب المؤسّسات الأمنية والجيش. ولكنّ الاختراق الأهمّ في حديث السيد غسّان سلامة أمام مجلس الأمن كان اعترافه بالنقائص الهيكلية في وثيقة اتّفاق الصخيرات التي فتحت صياغتها المفتقدة للدقّة وتركها للقضايا الخلافية دون تحديد للمخارج، الأبواب أمام الصراعات حول الأدوار المنوطة بعهدة الأجسام التشريعية المنتهية العهدة والتّداخل العميق بين المبادرات والمسارات التوفيقية، إضافة إلى عجز الفرقاء عن توسيع الاتّفاق ليشمل كلّ الأطراف على الميدان، وهذا الإخفاق، حسب المبعوث الأممي هو الأهمّ لأنّه أهمل مفتاحا رئيسيا لتجاوز الانقسام ألا وهو إشراك أنصار الجماهيرية في الحلّ.

أنصار النظام الجماهيري، أدوارهم وأوزانهم

لقد صاحب منطق الاستفراد بالحكم واستبعاد الخصوم بدعاوى الشرعية الثورية والإقصاء السياسي من المشهد مجمل المسار المؤسّساتي في ليبيا منذ 2011. وقد عمل كلّ المبعوثين الأمميين تباعا على إرجاع الفرقاء كلّما سمحت الأوضاع

وتوفّرت الإرادات وفرضتها وقائع الميدان، إذ نجح المبعوث الألماني مارتن كوبلر في إشراك المشير خليفة حفتر بعد أن لاحت بوادر انتصاره على المجاميع الإرهابيّة في بنغازي. أمّا اليوم فإنّ أنصار الجماهيرية بقبائلهم القوية ووحدات الجيش التي آعادوا بناءها وكاريزما زعيمهم «المغيّب» عن الأنظار المهندس سيف الإسلام القذّافي وانقلاب المزاج الشعبي الذي يغذّي غضبه المتصاعد تفاقم الأزمة المعيشية في بلد كان يعيش الوفرة قبل سنة 2011، أصبحوا يؤسّسون لمشهد شعبي جديد لا يمكن إنكاره أو القفز عليه. هذا المشهد رصده المبعوث الأممي وبنى عليه قناعته بضرورة إشراك أنصار الجماهيرية الذين استبعدوا قسرا في كلّ المحطّات السياسية الفارطة. وممّا يؤكّد الدور الرئيسي المرتقب لأنصار الجماهيرية تفاعلهم الشعبي الواسع مع دعوة سيف الإسلام القذافي إلى الترسيم في القوائم الانتخابية، حيث سجّلت الهيئات المحلية ما يقارب المليون ونصف ناخب جديد في غضون أسابيع، أي بزيادة تقارب نصف مليون مدعوّين إلى الإدلاء بأصواتهم. هذا الزّخم يُؤشّر لاستعداد الجمهور الواسع الذي استُبعد من الانتخابات في 2012 و2014 ومن رسم سياسات بلده منذ انهيار الدولة في أعقاب التّدخل الأطلسي في 2011 للمشاركة والانتصار في الانتخابات التي وعد بها المبعوث الأممي. لقد مثّل مشهد الصفوف الطويلة أمام هيئات الانتخابات أيّام التسجيل، في مدن كانت تعتبر معاقل للثورة وخصوصا في المنطقة الغربية وطرابلس العاصمة صدمة للمراهنين على أفول نجم الجماهيرية وهزيمتها النهائية بعد إسقاط الدولة وأملا لكلّ الداعين إلى رجوع السلطة القوية والراعية بعد استفحال الفوضى الميليشياوية وتجارة المخدّرات والخطف على الهوية والاختفاء القسري وفقدان السيولة وانهيار العملة وحريّة المضاربة، علاوة على تفشّي الجريمة الأخلاقية في مجتمع عرف بنواميسه المحافظة.

على وقع اقتراب الحلّ طبول الحرب تُقرع من جديد

ولكنّ الطريق نحو إنجاز الاستحقاق الانتخابي وعلى الرغم من الإعلان عنه من طرف الأمم المتّحدة كأهمّ محطّة للتوافق الوطني وإنهاء حالة الانقسام المؤسّساتي تبقى محفوفة بأخطار عدّة أهمّها محاولة قلب الطاولة من طرف المجاميع الإرهابيّة وأذرعها السياسية التي تخشى تهميشها نهائيا عقب التصريح بنتائج الصندوق.

وقد يأتي ردّ فعل هذا الطرف السياسي والميليشياوي في شكل عملية عسكرية تستهدف الخاصرة الرخوة والفصيل الأضعف على الأرض، أي المجلس الحاكم في طرابلس برئاسة السيد فائز السرّاج. وفي هذا الإطار تتنزّل دعوة المفتي المعزول الصادق الغرياني إلى الزحف على العاصمة بذريعة تحرير «المجاهدين» الذين أسرتهم الوحدات الأمنية التابعة للمجلس الرئاسي وبالأخصّ «فرع الردع» بقيادة الشيخ السلفي عبد الرؤوف كارة والقائد الميداني السيد هيثم التاجوري. هذا النداء الحربي الموجّه إلى الفصائل القريبة من الإسلام السياسي تتنزّل في إطار قراءة تقييمية لموازين القوى على الأرض ترجّح كفّة المسلّحين الإسلاميين في مواجهة التشكيلات الموالية للحكومة المدعومة دوليّا. كما تستند دعوات الهجوم على مراكز السيادة إلى استحالة إلحاق الهزيمة بالجيش العربي الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر أو استرجاع المواقع التي فقدها الإسلاميون في الجنوب حيث استعادت وحدات الجيش السابق السيطرة على أهمّ المدن والبلدات. ولكن، خلافا لبقية التحرّكات على الأرض الليبية والتي لا تتجاوز آفاقها الجغرافيا المحلية، فإنّ دعوات الحرب في طرابلس والتحريض على مهاجمة العاصمة من طرف المفتي المعزول تكتسي أبعادا إقليمية وتعيد ترتيب أولويات الملفّات حسب جدولة تخترق حدود البلاد.فالأسرى من «المحاهدين» الذي يدعو إلى تحريرهم الشيخ الصادق الغرياني هم بالأساس عناصر إرهابية من تنظيمي القاعدة وداعش تتوزّع جنسياتهم على عديد بلدان الجوار ومن ضمنها تونس. كما أنّ هذه الدعوة لا تخلو من محاولة استفزاز الجيش والقيادة في مصر والدّفع بها للتورّط في الداخل الليبي عبر المطالبة بفتح الزنزانات أمام قتلة المواطنين المصريين في مدينة سرت والمتورّطين في عملية الفرافرة في الصحراء الحدودية بين البلدين.

ويوجّه الشيخ الصادق الغرياني بدعوته هذه أيضا رسائل عديدة إلى القوى الإقليمية الأخرى وأساسا إيطاليا التي بدأت منذ مدّة في تحالفاتها الميدانية وسرّعت الخطى في النأي بنفسها عن أصدقاء الأمس، وعلى رأسهم الإسلاميون، منذ الانتخابات الأخيرة والتي أنتجت أكثرية برلمانية من الرافضين للسياسات «البرغماتية» في ليبيا والتي ترجمت لسنوات عدّة في التسليم للمجاميع القريبة من الإسلام السياسي وتجنّب الصدام مع الشبكات الإرهابيّة وأمراء التهريب في المناطق التي تعدّ فيها إيطاليا مصالح طاقية أو أمنية.

الدول الإقليمية ومصالحها في ليبيا : تقاطعات وتناقضات

ولأنّ الملفّ الليبي لا يمكن مقاربته كمسألة محلية بل كعقدة لتقاطع المصالح الإقليمية والنفطية والغازية، فلا مناص من رصد الاستراتيجيات المتّبعة لأهمّ الفاعلين على الساحة المحلية. إيطاليا بمصالحها الضخمة وشبكة علاقاتها في ليبيا تمثّل قاطرة للتحرّك صوب تركيز سلطة في غرب البلاد تمكّنها من حماية منشآتها النفطية برّا وبحرا كما تكون قادرة على تجفيف منابع الهجرة السرية، انطلاقا من الموانئ المنتشرة على امتداد ساحل الجفارة من مدينة الخمس شرقا إلى مدينة بوكماش شرقا. وتعتمد إيطاليا في مقاربتها هذه على الحضور المتزايد لقوات الأفريكوم الأمريكية وتصاعد دورها في مناطق الجنوب، إضافة إلى حرص واشنطن على عدم إعادة بناء داعش لقواعد في الصحراء بعد دحر مقاتليها في معقلهم في مدينة سرت عقب عملية البنيان المرصوص. أمّا فرنسا فأهمّ أهدافها ، إلى جانب الحفاظ على مصالحها الطاقية في الهلال النفطي ونفوذها التقليدي في إقليم فزّان المحاذي للساحل والصحراء ومناطق تأثيرها الموروث من الحقبة الاستعمارية، يكمن في المساهمة المكثّفة في إعادة الإعمار. وبناء على هذا الانتظار، تسعى فرنسا جاهدة إلى توسيع جبهة حلفائها، وإن أدّى ذلك إلى فتح قنوات الحوار مع القبائل والمجموعات التي استهدفتها الحملة الأطلسية سنة 2011 والتي كانت باريس رأس حربتها. وقد ساهمت الزيارات المتعدّدة للسفيرة الجديدة الدكتورة←

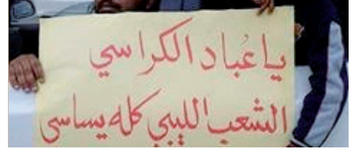

←بريجيت كورمي في إذابة الجليد مع غرماء الأمس والانفتاح على شخصيات مؤثّرة محليًا كانت تعتبر فرنسا سببا رئيسيا في انهيار الدولة.ولكن خلافا للإيطاليين الذين يركّزون على غرب البلاد وانتهاج سياسة ذات إطار محلّي بحت، اعتمدت فرنسا على الخطوات الرمزية والعملياتية المباشرة. فقد كـــان لتصريحات الرئيس مانويل ماكرون المنتقدة للتدخّل الفرنسي في 2011 والملاحقات القانونية للرئيس السابق نيكولا ساركوزي في تهم وقضايا رشاوى مصدرها ليبيا، إضافة إلى الانخراط المباشر لفرق القوات الخاصّة في إسناد الجيش العربي الليبي إبّان عمليّات تحرير مدينتي بنغازي وأجدابيا الوقع الإيجابي في تبدلّ المزاج الشعبي عامّة وداخل الأوساط الموالية للجماهيرية خصوصا.

أمّا الصديق التاريخي للنظام الجماهيري وحليفه لعدّة سنـــوات، الاتّحـــاد الـــروسي، فقد اختار منـــذ نهـــاية 2014 الاصطفاف وراء الجيش العربي الليبي واستقبل قائده على ظهر حـــاملة الطائـــرات «الأدميرال كوزنتسوف» في عرض بحر بنغازي بوصفه أهمّ شخصية في البلاد. وتتوافق المصالح الفرنسية والروسية في ليبيا على اعتبار أنّ القوّتين تتطلّعان إلى ما بعد الحرب الأهليّة والبدء في إعادة الإعمار، لما يتضمّن ذلك من انطلاق عملية تسليح الجيش ونقل الخبرات العسكرية، إضافة إلى إشراك المؤسّسات النفطية والغازية العملاقة في استغـــلال الحقلين الرئيسيين اللذين كانـــا من حصّة موسكو منذ سنة 2010 والموجودين في عرض بحر مدينتي سرت ومصراتة.

دول الجوار ومعضلة النّخب الليبية

حـــاولت دول الجـــوار السعـــي إلى إطفاء الحريق الليبي وتمكين الفرقاء من الجلوس إلى مائدة الحوار والتوافق ودرء خطر التفتّت والفوضى وقدّمت العديد من المبادرات لحلّ الأزمة ولكن الوقائع الميدانية كانت تقوم حائلا دون بناء شراكة وتواصل بين الأطياف السياسية اللّيبية ونخـــب دول الطوق. قد يعود هذا الانقطاع إلى العزلة الطويلة التي عرفها الفاعلون السياسيون في ليبيا في ظل النظام الجماهيري ولصعوبة تفكيك العقل المحلّي لارتباطه بمنظومات قبلية لا ترتقي إلى فقه الدولة وضوابطها. ولكن يمكن التأكيد في هذا الإطار على حقيقة انخراط العديد من النخـــب الليبية التي تتـــصـــدّر المشهد الحالي في مشاريع إقليمية وشبكات علاقات مصلحيّة تجعلها تنأى بنفسها عن العمل المشترك مع السياسة في تونس والجزائر وبدرجة أقلّ في مصر. لذلك وتحسّبا لكل السيناريوهات وجب التنبّه إلى ضرورة التفاعل مع ديناميكيات التشكّل المتواصل للنخب السياسية الليبية والعـــمل على التواصل مع الجيل الجديد الذي ارتقى إلى مراتب متقدّمة من الفعل والتّأثير المحلّي ولم يندرج في منظومات الفســـاد وتنفيذ الإملاءات الخارجية.

نحو مقاربة تونسية للملفّ الليبي مستقبلا: سياق إعادة الأعمال ودرء الخطر الإرهابي

إنّ الوضع في ليبيا وبالرّغم من الاجماع الدولي والإقليمي على ضـــرورة إنجـــاز الاستحقاق الانتخابي كخطوة رئيسية للخروج من مأزق تأكل الشرعية وبناء مؤسّسات ممثّلة يبقى مفتوحا أمام احتمالات عدّة أخطرها الانفجار الأمني إذا ما أقدمـــت المجاميع الإرهابية على الزّحـــف نحـــو العاصمة طرابلس. وإن اختلفت البلـــدان الفـــاعلة في الملفّ الليبي لسنـــوات جـــرّاء مقاربات مصلحية كادت تتسبّب في انهيارات دراماتيكية فإنّها اليوم تقف أمام وضعية اصطفاف تفرضه ضرورات ضاغطة من أبرزها إمكانية تحوّل ليبيا إلى مركز استقـــطاب الإرهـــابيين الفارّين من سوريا والعراق، بناء قاعدة جديدة لتهديد دول المنطقة عبر استهداف الاستثمارات الطاقية بما فيها مناجم اليورانيوم في الجوار الصحراوي، تعزيز الهجرة السريّة عبر البحر الأبيض المتوسّط نحو السواحل الأوروبية وأخيرا تنويع بؤر تهريب السّلاح بما يؤدّي إلى تقوية المنظمات الإرهابية والعصابات العابرة للقارّات.

ولكن التّهديـــدات التـــي تـــطال دول الجوار المباشر ومن ضمنها تونس أخطر بكثير ممّا يمكن أن يمسّ أمن الساحل الجنوبي لأوروبا. فالإرهابيون من تونس يُعَدّون بالمئات، في ليبيا والبعض منهم تبوّء مناصب قيادية ضمن التنظيمات التـــي أدمـــت المجتمع الليبي، وقد ساهمـــت العمليات الكبرى كالبنيان المرصوص والكرامة في القضاء على الجزء الأكبر من خلايا «أنصار الشريعة» المصنّف إرهابيا في تونس إضافة إلى أسر جمع كبير من الدواعش الذين فرّوا إلى هذا البلد المجاور في إطار خطّة بناء القدرات قبل العودة للانقضاض على مجالات ترابية انطلاقا من الحدود مع ليبيا. لذلك أصبح من الضروري الانتباه لمدى خطورة التفاعل بين مسارات الحلّ أو التأزّم في ليبيا والوضع الأمني والاقتصادي في تونس.

إنّ السير نحو انتخابات عامّة وتجديد الأطر المؤسّساتية في ليبيا وبسط الجيش الموحّد ذي العقيدة الدفاعية والأمن المدني سلطتهما على كل التّراب الليبي وتأميـــن حـــدودنا والقضاء على كلّ بـــؤر الإرهاب والجريمة تمثل الضّمانة لخفض الضّغط على مؤسّساتنا العسكريّة المنتشرة على امتداد حدودنا قبالة فراغ أمني وفوضى ميليشاوية كما أنّ إنجاز الاستحقاق الانتخابي والوصول إلى التّوافق حول حكومة موحّدة سيطلق إشارة البدء في ورشة إعادة الاعمار التي ستحتاج حتما إلى الطّاقات والخبرات والمؤسسات الاقتصادية التونسية ممّا يفتح آفـــاقا طال انتظارها أمام عشرات الآلاف مـــن التونسيين الذين خبروا لسنوات عدّة حاجيات وخصوصيات السوق الليبية. ولأنّ إعادة الإعمار في ليبيا ستشمل البشر قبل الحجر فمن المنتظر أن يكون لأصحاب الشهادات الجامعية وخرّيجيها في تونس الدور الكبير في استصلاح المناهج التربوية وتدريس المواد التي تفرضها المقرّرات الحديثة والنهوض بالقطاع الصحّي وإعادة هيكلة الإدارة.

لن تكون عملية إعـــادة الإعمار مسابقة للتبرّعات الخيرية بل منافسة شاقّة لا يمكن الاعتماد فيها على «صداقات» لذلك وجب تحديد استراتيجيات خلافة للتموضع داخل السوق الجديدة التي قدرها البنك الدولي بما يزيد عن المائتي مليار دولار. ولكن لتونس أوراق مهمّة وأسبقية الأرض والتواصل الاجتماعي، عسى ألاّ تعوزنا الرّؤية ووحدة الهدف.

ر.ط.

RadioMed
une vague de bonheur
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
GRAND TUNIS 93.5 FM
CAP BON GRAND TUNIS 104.1 FM
WWW.RADIOMEDTUNISIE.COM
Cité El Wafa Nabeul Jadida 800 Nabeul - Tunisie (+216) 72 328 500 (+216) 72 328 560
marketing@radiomedtunisie.com www.radiomedtunisie.com

إطلالة خاطفة على سياسة سلطنة عمان الخارجية

في الحقيقة... خامرتني فكرة هذه الإطلالة منذ فترة، وبالتّحديد منذ أن نجحت سلطنة عُمان في أكتوبر 2016 في الإفراج عن الرّهينة تونسية الأصل فرنسية الجنسية نوران حواص الموظفة في اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تمّ اختطافها واحتجازها في اليمن طيلة عشرة أشهر... وقد عاودتني هذه الفكرة، هذه الأيام، على إثر الزيارة التي قام بها وزير الشؤون الخارجية السوري وليد المعلّم الى مسقط، في أواخر شهر مارس 2018 أي على بُعْد أسبوعين من القمّة العربية التّاسعة والعشرين التي ستنعقد بالرياض في 15 أفريل 2018.

• بقلم محمّد ابراهيم الحصايري

قد كان من الطبيعي أن تستقطب هذه الزيارة الأنظار، إذ أنّها جاءت في وقت تواتر فيه الحديث، خاصّة في ظلّ المستجدّات التي يشهدها الوضع في سوريا والتطوّرات التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط عموما، عن ضرورة عودة أو إعادة سوريا إلى حضيرة جامعة الدول العربية، وهو ما تجلّى، على وجه الخصوص، في تصريحات كلّ من رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان العراقي، عبد الباري زيباري، والنائب جاسم محمد جعفر البياتي، المقرّب من رئيس الوزراء العراقي الذي قال، يوم السبت 31 مارس 2018 إنّ العراق «يقود مساعي حثيثة لإعادة عضوية سوريا في جامعة الدول العربية»، وأكّد أنّ «العراق ومصر والجزائر وتونس تدعم بقوة رُجُوع سوريا إلى وضعها الطبيعي وإعادة عضويتها في الجامعة العربية»، مضيفا أنّ بلاده تنسّق من أجل ذلك مع الجزائر التي يجدر التّذكير بأنّها سبق أن رفضت إغلاق سفارتها بدمشق مثلما أوصت بذلك جامعة الدول العربية، وبأنّ وزير خارجيتها عبد القادر مساهل سبق أن زار في أواخر شهر أفريل 2016، دمشق حيث التقى بالرئيس بشار الأسد، ونقل إليه رسالة من الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، كما دعا في سبتمبر الماضي، من مقرّ الأمم المتحدة بنيويورك، إلى إنهاء تجميد عضوية سوريا في الجامعة...وفي غياب معلومات دقيقة عن مجريات ونتائج زيارة الوزير وليد المعلم إلى مسقط، مباشرة بعد زيارته الى طهران، لا تستبعد تخمينات الملاحظين أن تكون قد اندرجت في نفس هذا الإطار، لا سيما وأنّ سلطنة عُمَان سبق أن عملت على تقريب الشقة بين سوريا وبين دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

كما إنّه ليس من المستبعد أن يكون توجّه دمشق نحو مسقط، في هذا الظّرف بالذّات، قد هدف إلى دعم التحركات العربية الرّامية الى عودتها أو إعادتها إلى حضيرة جامعة الدول العربية خليجيا... خاصّة وأنّ الرباعي الخليجي المصري قد يكون، مع استمرار قطيعته منذ جوان 2017 مع دولة قطر، يشعر بنوع من الحرج من ألاّ يطبّق على الدوحة نفس ما طبّقه على دمشق، علما بأنّ المعارضة القطرية طالبت بمعاملة بلادها نفس المعاملة لا سيما وأنّها كانت «بطلة» التحرّك الذي أدّى الى تعليق عضوية دمشق في الجامعة في شهر نوفمبر 2011، كما إنّها سمحت، عند احتضانها القمّة العربية الرابعة والعشرين في مارس 2013، لرئيس ما يسمّى «الائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية» باحتلال المقعد السوري وإلقاء كلمة أمام القادة ورؤساء وفود الدول العربية، ورفع علم «الثورة» داخل القاعة الرئيسية للمؤتمر...وبقطع النّظر عن مجمل هذه الحيثيات، وفي انتظار ما ستشهده القمّة القادمة من تطوّرات، أعتقد أنّه من المفيد أن نلقي بعض الضّوء على سياسة سلطنة عُمَان الخارجية وعلى العوامل التي جعلت من السلطنة دولة فاعلة على الصعيدين الإقليمي والدولي...

إنّ أهمّ هذه العوامل، فيما أرى، يتمثّل في أنّ السلطنة التي هي جزء من شبه الجزيرة العربية وكأنّها ليست منها، وهي عضو في مجلس التعاون لدول الخليج العربية وكأنّها ليست فيه، سلكت نهجا متفرّدا في إدارة شؤونها الخارجية، وفي بناء علاقاتها الإقليمية والدولية، وهو نهج ثابت ومستقرّ منذ أن تولّى السلطان قابوس بن سعيد آل سعيد السلطة سنة 1970، لا سيّما وأنّه اعتمد في تجسيمه على يوسف بن علوي أحد أقدم وزراء الخارجية العرب وأطولهم عمرا على رأس وزارته...

وتتمثّل أهم خصائص هذا النهج فيما يلي:

• أنّه يضع على رأس أولوياته الحفاظ على علاقات صداقة مع جميع دول المنطقة والعالم، بغربه وشرقه وجنوبه وشماله...

• أنّه يتوخّى مبدأ الحياد الدائم، وعدم التدخّل في شؤون الغير، والنّأي بالنّفس عن الصراعات والتكتّلات التي تدور حول السلطنة.

• أنه يتّسم بعدّة سمات لعلّ أبرزها الحكمة والاعتدال، والتوازن والاتّزان، والانفتاح.

• أنّه ينبذ كلّ أشكال الصدام، ويغلّب الحوار ويحرص على إبقاء بابه مفتوحا مع جميع الأطراف ومهما تعقّدت الخلافات أو تشعّبت الأزمات.

• أنّه يفضّل العمل في صمت وفي كنف الكتمان وبعيدا عن الأضواء والبهرج الإعلامي.

وقد تجلّت هذه الخصائص، من ناحية أولى، في العديد من مواقف السلطنة القديمة والحديثة على غرار عدم قطعها العلاقات مع مصر بعد توقيعها اتّفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل، ومحافظتها على علاقات جيّدة مع إيران رغم كلّ التقلّبات التي عرفتها العلاقات الخليجية الإيرانية والعربية الإيرانية بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية سنة 1979، وحديثا، إبقائِها على علاقاتها مع دمشق، ووقوفها الى جانب وحدة سوريا واستقرارها ومحاولة التوصّل إلى حلّ سياسي لأزمتها، وكذلك امتناعها عن المشاركة في عملية «عاصفة الحزم» التي تواصل المملكة العربية السعودية وبعض حليفاتها من الدول الخليجية شنّها على اليمن، للسنة الرابعة على التوالي... كما تجلّت، من ناحية ثانية، في تعدّد التحركات التي قامت بها الدبلوماسية العُمَانية من أجل الإفراج عن العديد من الرّهائن والمحتجزين من جنسيات مختلفة، وخاصّة من أجل المساهمة في حلّ الكثير من النّزاعات الداخلية والإقليمية والدولية، وكان من أبرز هذه التحرّكات دور الوساطة الذي اضطلعت به في التمهيد للاتّفاق بين إيران ومجموعة الخمسة زائد واحد حول الملّف النّووي الإيراني، والجهود التي بذلتها في بداية سنة 2016، من أجل المساعدة على حلّ الأزمة الليبية وتقريب وجهات النّظر بين الفرقاء الليبيين، حيث استقبلت مدينة صلالة على مدى ثلاثة أسابيع الأطراف الليبية التي توصلّت إلى إعداد مسوّدة دستور ليبي جديد.ولقد تحوّلت السلطنة بفضل نجاحاتها، الكلّية أحيانا والجزئية أحيانا أخرى، في هذه التحرّكات إلى لاعب إقليمي ودولي موثوق به ويُعَوَّلُ عليه في جمع الكثير من الخصوم والأعداء حول طاولات الحوار والتفاوض من أجل تجاوز خلافاتهم ووضع حدّ لنزاعاتهم...

أمّا السرّ في هذه النجاحات فإن الوزير يوسف بن علوي يلخّصه في مقابلة أجراها مع قناة «س.ن.ن» (CNN) الأمريكية سنة 2015، في قوله: «نحن لا ننحاز إلى هذا الجانب أو ذاك، بل نحاول أن ننقل لكلا الطرفين ما نعتقد أنّه جيّد لكليهما».

وما من ريب أنّ هذه المقاربة الحكيمة هي التي جعلت سلطنة عمان محطّ أنظار دول المنطقة والعالم وحوّلتها الى «منصّة» حقيقية للعمل الدؤوب من أجل مدّ جسور التواصل والتّحاور والتّفاوض بين الأطراف المتنافرة والمتدافعة والمتصارعة، ولقد أتقنت السلطنة الاضطلاع بهذا الدور حتّى باتت صديقة للجميع وحتّى بات البعض يعتبرها بمثابة «سويسرا» أو «نرويج» الخليج، وربّما «سويسرا» العرب كلّهم لا سيما بعد أن انحسر دور تونس المماثل خلال السنوات السبع العجاف الأخيرة... والسؤال الذي أختتم بـه هذا المقال هو متى تستعيد تونس التي ربطت بينها وبين سلطنة عمان وبين رئيسها الراحل الزعيم الحبيب بورقيبة وبين السلطان قابوس بن سعيد ال سعيد علاقات وثيقة ووشـائج حميمة، في سبعينـات القرن الماضي، دورها المفقود هذا!

م.ا.ح.

روسيا - الولايات المتحدة

نحو حرب باردة جديدة؟

• بقلم حنان زبيس

أثارت قضية تسميم العميل الروسي المزدوج سيرغي سكريبال وابنته في بريطانيا، ردة فعل قوية في العالم الغربي ضد روسيا، إذ استغلتها الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون لشنّ هجمة إعلامية شرسة على الجانب الروسي ولكن خلفية هذه الحملة هي أساسا محاولة لإضعاف موقف الروس في سوريا، حيث يحتدم التّنافس بينهم وبين الأمريكان لتقاسم النّفوذ هناك. ←

لاتزال تداعيات قضيّة الجاسوس الروسي مستمرة بعد طرد الدبلوماسيين الروس من الولايات المتحدة الأمريكية ومن معظم دول الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى إغلاق القنصلية الروسية في سياتل، وما تلا ذلك من ردّ قويّ من روسيا التي أجابت بالمثل بطرد دبلوماسيين أمريكيين وإغلاق القنصلية الأمريكية بسان بطرسبورغ. وتحاول الولايات المتحدة ومن ورائها حلفاؤها الأوروبيون تحشيد الرّأي العام الدولي ضدّ روسيا وإظهارها بمظهر المعتدي على حرمة بلد آخر والمؤجّج لسيناريو حرب باردة جديدة ضدّ المعسكر الغربي.

يأتي ذلك في خضمّ نجاح القوات الروسية في سوريا في استعادة الغوطة الشرقية، بعد معارك دامية، مجبرة جيوب المعارضة السورية على الخروج منها نحو إدلب. نصر استفاد منه النظام السوري الذي تمكّن بصفة نهائية من حماية دمشق والمناطق المحيطة بها ودحض أيّ تهديد ضدّ العاصمة. لكنّه فوز أثار حفيظة الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين الذين يدعمون المعارضة من جهة، والذين أصبحوا واعين تماما بانحسار نفوذهم في سوريا نتيجة سحب روسيا البساط من تحت أقدامهم، سواء بالتدخل مباشرة لمساندة النظام أو عبر دعم حلفائها الآخرين مثل إيران وتركيا في معاركهم لتوسيع وجودهم في الأراضي السورية.

الغرب وخاصّة الولايات المتحدة ينظر بعين الريبة إلى التحركات الروسية في سوريا، حيث يبدو الروس المنتصرين الحقيقيين في هذه الحرب في ظلّ الهزائم المتتالية للمعارضة ونية الولايات المتحدة الانسحاب من سوريا، وانحسار نفوذ الأكراد، حلفاء الأمريكيين على الأرض، وفشل مسار جنيف واستبداله بمسار أستانة ومفاوضات سوتشي التي أطلقتها روسيا وحلفائها. لذلك يسعى المعسكر الغربي إلى تشويه صورة الروس وشنّ حرب نفسية وإعلامية، الغاية منها إضعاف وقع هذا الانتصار.

كما أنّ إعادة انتخاب بوتين كرئيس، وإن كان متوقّعا، ساهم في إعطاء إشعاع أكثر لهذا الأخير، وهو الذي لم ينته بعد من تذوّق لذة النصر على المعسكر الغربي في سوريا وقبلها في أوكرانيا، ليواصل مشروعه لإعادة مجد روسيا كما كانت وقت الاتحاد السوفياتي.

سيناريو عقابي لتقدّم الروس في سوريا

سيناريو الحرب الباردة الذي تلوّح به الولايات المتحدة في وجه روسيا يبدو كسيناريو عقابي أمام تنامي النّفوذ الروسي في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم بشكل عامّ ولكنّه يعكس في نفس الوقت هشاشة الموقف الأمريكي الذي بدأ يفقد شيئا فشيئا نفوذه في المنطقة أمام دخول منافسين آخرين على غرار روسيا وإيران وتركيا، يملكون وجودا عسكريا على الأرض وحلفاء محليين ممّا يرشّحهم لإعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط. ومعلوم أن رسم الخارطة الجيوسياسية للمنطقة سيبدأ من سوريا وينتشر من خلالها إلى بقيّة البلدان المجاورة. لذلك يحتدم الصّراع اليوم حول تحديد مناطق النّفوذ فيها. من هنا يأتي التّغيير المستمرّ للاتفاقات بين مختلف الأطراف المتدخّلة في المسألة السورية، وأقوى دليل على ذلك هو ما تقوم به تركيا حاليا من سعي إلى استعادة جزء كبير من الأراضي التي تقع تحت سيطرة أكراد سوريا، مخاطرة بالتصادم مع الولايات المتحدة التي تساند الأكراد في تلك المناطق عبر مستشاريها العسكريين، إلى جانب امتلاكها لثمان قواعد عسكرية هناك. ولا تبدو تركيا مكترثة كثيرا لردّ فعل الأمريكان وهي في طريقها للتوسّع من عفرين التي أحكمت سيطرتها عليها مؤخّرا، نحو منبج، واعدة بتطهير كامل المنطقة المحاذية لحدودها مع سوريا من الوجود الكردي.

الموقف التركي يجد مساندة كبيرة من الحليف الروسي الذي يرغب في إضعاف الوجود الأمريكي في سوريا عبر إضعاف حلفائه الأكراد وإجبارهم على عقد تحالفات مع النظام السوري وتقاسم إدارة مناطقهم معه. في الأثناء، بدت الولايات المتحدة مستعدّة للتخلي عن حلفائها من «قوّات سوريا الديمقراطية» (ذات الأغلبية الكردية) ولم تبد معارضة كبرى لاستعادة تركيا لعفرين وطرد الأكراد منها، بل إنّها قبلت بالمقايضة التي قام بها الأتراك مع الرّوس: عفرين مقابل الغوطة الشرقية ولم تتدخّل لإفشالها.

وأمام ضبابية الموقف الأمريكي في سوريا، وربّما سعيا إلى حفظ ماء الوجه بالنسبة للمعسكر الغربي، عملت فرنسا على تدارك الوضع عبر التعبير عن استعدادها لدعم أكراد سوريا في مواجهة الهجوم التركي، من خلال إرسال قوّات عسكرية. قرار استقبلته تركيا بغضب شديد وحذّرت فرنسا من تنفيذه على أرض الواقع.

الولايات المتحدة مستعدّة للإنسحاب من الحرب السورية

واشنطن ذهبت حتّى إلى إعلان نيّتها الخروج من سوريا، حيث صرّح الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب أنّ بلاده ستنسحب قريبا من المستنقع السوري. لذلك قرّر تجميد أكثر من 200 مليون دولار كانت مخصّصة لإعادة إعمار سوريا.

ويجدر التّذكير هنا أنّ اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية انصبّ بالنّسبة إلى المسألة السورية: أوّلا على الحرب ضدّ داعش وثانيا على منع إيران من التمدّد في التّراب السوري، مما جعلها تقبل بتسليم ورقة التسوية السلميّة للحرب إلى روسيا لتقف موقف المتفرّج. من جهته، فإنّ الجانب الروسي يعمل على فرض خطّته لإحلال السّلام في سوريا من خلال تكثيف المشاورات مع حلفائه: إيران وتركيا حول الحلّ السياسي للحرب التي تدور رحاها منذ سبع سنوات والحرص على تنفيذ مخرجات مؤتمر سوتشي (في جانفي 2018) الذي أسفر عن إنشاء لجنة للإصلاح الدّستوري مهمّتها صياغة دستور جديد يتمّ بموجبه إجراء انتخابات ديمقراطية. وهناك اجتماع مرتقب في شهر ماي في أستانا لمواصلة التشاور حول الحلّ السياسي والعمل على تنفيذ اتّفاقات «مناطق خفض التوتّر» التي تمّ الإعلان عنها السنة الفارطة لوقف أعمال العنف بين الأطراف المتحاربة.

تبقى المسألة السورية والسّيطرة على الشّرق الأوسط جوهر الخلاف بين الولايات المتحدة وروسيا. ولا تعدّ قضية العميل الروسي سوى مناورة من الأمريكيين لكسب جولة في صراعهم ضدّ الروس. وقد لا يصل الأمر إلى التّصادم الفعلي بين القوّتين. ولكن هذه القضيّة ستساهم في دفع المجموعة الدولية إلى فرض عقوبات على روسيا.

ح.ز.

الخطّاط التونسي عمر الجمني

يفوز بجائزة الفنون الحديثة والمعاصرة في ملتقى الشارقة للخطّ

فاز الخطّاط التونسي عمر الجمني بجائزة الفنون الحديثة والمعاصرة خلال الدورة الثامنة لملتقى الشارقة للخطّ الذي أقيم مؤخّرا برعاية من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، تحت شعار «جوهر»، وذلك بمشاركة 227 خطاطاً وفناناً قدّموا 500 عملاً عكست تجاربهم في مختلف أنواع الاتجاهات الخطية الحديثة وملامح الابتكار والتعدد التقني والأساليب الفنية في هذا المجال.

والجدير بالذكر أنّ ملتقى الشارقة أضحى بعد مرور ستّة عشر عاما من انطلاقته الحدثَ الفنيَّ الحاضنَ لأجدرِ التجاربِ الفنيةِ في الخطِّ العربي وفي الإبداعِ التشكيليِّ المعاصرِ الذي يتناوَلُ الحرفَ ضمنَ مختلفِ اللغاتِ في العالم.

عن الشّعر والسّلطة والثّورة

• بقلم عامر بوعزّة

استحوذت أيّام قرطاج الشعرية مثلما كان متوقعا على كثير من الاهتمام، لا فقط لكونها تمثل حجر الأساس للمحتوى الإبداعي في مدينة الثقافة، وإنّما لما أحدثته في نسختها الأولى من أثر مدوّ حرّك السّواكن وأيقظ النوّم، فانقسمت دولة الشّعراء بين من يرحّب بهذه الأيام ومن ينتقدها، ولذلك أسباب لا تتّصل فحسب بالتنظيم المادّي بل بطبيعة الشّعر التونسي -الآن وهنا- وما يعتمل داخله من تدافع بين الأجيال والاتّجاهات.

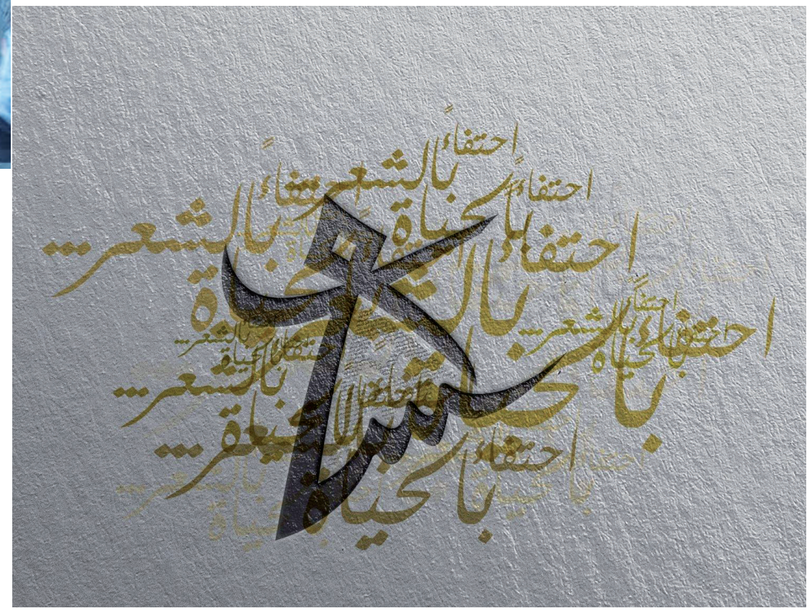

تسم التّجربة الشّعرية في تونس بالثّراء والتنوّع، فهي تُغطّي كلّ ألوان الطّيف الشّعري، وتحتوي التّجاذب المألوف بين النّزوع إلى الكلاسيكية والتعلّق بهاجس التّجاوز المستمرّ تحت طائلة الحداثة وما بعدها، هكذا تتدافع التّجارب الشّعرية في حركة صراع لا تتوقّف، وقد أصبح بعض حداثيي الستينات والسبعينات كلاسيكيين لضمور تجاربهم وتراجع فورتها، أو تحت ضغط الإقصاء الذي يمارسه المتمرّدون الجدد والرّوح الصّدامية التي يتسلّحون بها في مواجهة مراكز القوى التّقليدية في السّاحة الشعرية، نقرأ في ملفّ مُخصّص لشعراء الألفيّة الجديدة نشرته مجلة الحياة الثقافية في عددها لشهر مارس 2018 تصوّرا للحالة الشعرية في لحظتنا هذه يقول فيه سفيان رجب أحد المتحدّثين باسم الموجة الجديدة محاكما فترة التّسعينات: «في نهاية الثمانينات من القرن المنقضي، بدأت الأدوار تتوضّح، وبدأنا نعرف حاكم الأرض الجديد وهو يلقي خطبه الواعدة بالجنّة والسعادة الدنياوية، ويدور على العالم الثالث ليُغيّر فترياته السياسيّة. كان الشّاعرُ وقتها مُشوّش الحواسّ، لا يعرف هل يكتبُ نصّه تحتَ أنصاب زعمائه الغابرين أم يتحوّل إلى قاذف حصى على الفيتارينات البلورية الجديدة. وكان جهد السياسيّ ينصبّ في تركه داخل بيضة النّصّ». وانطلاقا من هذا التشخيص يقدّم الكاتب الشعراء الجدد بوصفهم قد كسّروا قشرة البيض التي يريد السياسي أن يسجنهم داخلها ويعتبر أن الشّعر في تونس الآن، «قد خرج من بيضة النّصّ، وتخلّص من وهم الحرب الدّنكيشوتية ضدّ القصيدة التقليدية، تخفّف من بدلاته الرّسميّة، وخرج إلى الشارع بالدّجين الممزّق والقمصان الضّيقة، اقترب أكثر من حياة النّاس، ركب الميتروهات والحافلات... وكتب شعاراته بالقرافيتي على الحيطان»، هذا التوصيف الثوري للحالة الشعرية يردّد من غير أن يدري ربّما صدى ثورة شعراء طلائعيين مثل محمد الحبيب الزناد والطاهر الهمامي وصالح القرمادي الذين ولدت نصوصهم من معايشة ماسحي الأحذية والفقراء والنازحين في شوارع العاصمة والأرياف النائية وتشرّبت روح الحياة اليومية بشتّى تحوّلاتها في المجتمع التونسي بعد فشل تجربة التّعاضد وبداية مرحلة الانفتاح الاقتصادي مطلع السّبعينات بكلّ ما تحمله مباهج الحياة الرّأسمالية من قيم جديدة ثار ضدّها شعراء المرحلة. وثورة الشّعراء الجدد وإن كانت كما يقول النص الإطار لا تتّجه إلى القصيدة التقليدية فهي تمثّل مواجهة مفتوحة مع السلطة بكل رموزها، تبدأ هذه الثّورة من بلاغة النص، يقول وليد تليلي في نص بعنوان «أنا الآخر الذي يقول عنه سارتر الجحيم»: «أنا أتقن إشعال الحرائق فقط ولا شيء غير ذلك، حائطي صار حانة كبيرة بلا مرحاض وبلا كونتوار وبلا تعريفة على الجدار، هناك فقط باب مخلوع ونافذة صغيرة تتسرّب منها القصص والعقد القديمة طوال الوقت، ولا شيء آخر سوى مروحة معلّقة في السّقف تتدلّى منها جثث المثقّفين وأعوان السّلطة». وتتجسّد الثّورة في محاولة البحث عن مفهوم جديد للشّعر خارج المفاهيم التقليدية، يقول صابر العيسي في مساهمته ضمن ملفّ أنجزته مجلة الجديد تحت عنوان: «هل غادر الشعراء من متردّم»: «أن تكون شاعرا هو أن تخلع قلبك باستمرار وتطعمه لفقراء العالم، الذين لا بدّ أن يزحفوا من الأرض قاطبة في اتّجاه وول ستريت، لأنّ الخطاب الجمالي يتراجع على وقع أظلاف الخطاب السياسي الذي يحتكر القبح المتجلّي في أشكال من الحروب التي لا تحصى. ههنا ينهض الخطاب الشعري الجمالي لينتصر للمعنى في زمن الانهيارات الكبرى».

تتّضح أكثر ملامح هذا التمرّد الشعري في بيانات «حركة نص» حيث تتلازم الكتابة والثورة، يقول عبد الفتاح بن حمودة في بيان بعنوان الحركة/النص/الثورة: «الحركة فعل تحرّر من القيود والمشتَرَكِ. وكلّ حركة لا تحمل ثورة هي سكون وعدم وموت وفناء وانتفاء». هذه الحركة التي أسّسها مجموعة من الكتّاب في العام 2011 وإن كان يغلب على كتّابها الانتماء إلى قصيدة النّثر فإنّها تقوم على الاختلاف الإبداعي والتحرّر من كلّ أشكال التحزّب الفنّي، بما يجعلها لا تمثّل تيّارا إبداعيّا بل تبدو أقرب إلى التنظيم المتنطّع عن سلطة المؤسّسات القائمة، وقد رأى الشّاعر الفلسطيني عمر شبانة في مقال نشره بمجلة «الحياة» أنّ هذه الحركة تشهد قدراً من المبالغة في إمكاناتها، والانفعال في طريقة أدائها، وفي إدارة حواراتها مع «الآخر» الذي يختلف عنها ومعها، الأمر الذي يتطلّب في رأيه مقداراً من الانفتاح على التّجارب السّابقة، أكبر ممّا يعتقد مؤسّسوها».

في خضمّ هذه المواجهة المفتوحة من جانب واحد بين الأجيال الشّعرية المختلفة في تونس، وفي غياب حركة نقدية حقيقية تمحّص الاختلافات بين هذه الأجيال وتحدّد مكامن القوّة في التّجارب الإبداعية الجديدة التي تراهن على الاختلاف والتمايز انتظمت النسخة الأولى من أيّام قرطاج الشّعرية وأشرف على تنظيمها والتّحكيم فيها أكاديميون لا تعرف لهم دراسات نقديّة عن الشّعر التونسي، ومن المعروف أنّ الجامعة اهتمّت بالسّرد أكثر لكنّها ظلّت عالقة فترة طويلة في برنس الشّابي، وهي التي أسهمت في جعله شجرة عملاقة تحجب غابة من الشّعراء وارفة الظّلال، وباستثناء بعض الجامعيين المعروفين بانحيازهم إلى التّجربة الشّعرية التونسية تظلّ المسافة دوما بعيدة بين الشّعر والجامعة، فلم تكن ردود الفعل الغاضبة التي عبّر عنها عدد غير قليل من الشعراء إزاء هذه الأيام الاّ ردّ فعل إزاء الشكل الاحتفالي التقليدي الذي ظهرت به، وهو غضب حريّ بأن يؤخذ بعين الاعتبار لأنّه يتّصل بهويّة هذه الأيام وأهدافها بعيدة المدى، كما تؤثّر في نوع العلاقة الممكنة بين المدينة وقطاع عريض من المبدعين المتمرّدين الثائرين على السلطة. إنّ الطابع التقدّمي الثّوري للسينما والمسرح التونسيين يعود في جزء منه إلى أيّام قرطاج بوصفها منصّة للتّجريب والتّعريف بالتّجارب الرّائدة، وكان من الضّروري أن تنفتح الأيّام للشعراء الذين كسّروا قشر البيضة وغادروها وأن تحتوي تمرّدهم وثورتهم تناغما ومقتضيات اللحظة التي يعيشها المجتمع التونسي.

ع.ب.

مدينة الثّقافة
حضر المنجز وغاب التّصوّر

• بقلم فوزية بلحاج المزّي

في السّادس من شهر جانفي 2017 ، صدر الأمر الحكومي عدد 76 ، ويقضي بإحداث وحدة تصرّف حسب الأهداف لإتمام الإعداد لافتتاح مدينة الثّقافة واستغلال فضاءاتها الفنّيّة والتّجاريّة و يضبط تنظيمها وطرق سيرها.الحدث، وقد خرج من طور الأحكام والأوامر والورق والتّلاعب الذي بقي عالقا به منذ أواسط التّسعينات ، مثّل، فعلا، حدثا فارقا إذا اعتبرنا ما تعانيه التّظاهرات الثّقافيّة السّياديّة (مهرجانات أيّام قرطاج السّينمائيّة والمسرحيّة...) من عوائق على مستوى البنى التّحتيّة وما يتبعها من التّجهيزات الفنّيّة المطابقة لشروط العرض والاستقبال الاحترافيّة. والحدث على أهمّيّة بالغة أيضا فيما يتعلّق بمآل الفضاءات الاعتباريّة وتشيّئها مثلا بخصوص السّمة البيئيّة الخصوصيّة للمسرح البلدي الذي تحلّلت صفته الاعتباريّة بسبب التّغييرات التي أدخلت على مركّب البالماريوم وقد أصبح مركّبا تجاريّا شعبيّا بعد أن كان يجمع بين حركيّات مزدوجة مسرحيّة وسينمائيّة وسياحيّة.

من المنظـــور السّوسيوثقـافي، وكمنجز في مستوى البنية التّحتيّة، لا يمكن التّشكيك في أهمّيّته، لما يفترض أن يؤدّيه من إعادة تشكيل العلاقة بين المدينة كفضاء عمومي من جهة وتمظهرات الشّأن السّياسي والثّقافي والاقتصادي والاجتماعي، خاصّة في وتيرة انفعالاتها اليوميّة، بعد أحداث 14 جانفي2011. لكنّ المتأمّل في إتمام إنجاز مدينة الثّقافة وما حفّ بذلك من خلفيّات، يستشفّ تساؤلات محيّرة سنحاول تحليلها نقطة بنقطة. تتلخّص المبرّرات الأصليّة للمشروع، كما وقع تصوّره في ولاية بن علي، بمفهومين أساسيين وهما: الفضاء كبديل للنّقص في البنى التّحتيّة والذي بدأ يعلن عن نفسه منذ إعادة هيكلة فضاء البالماريوم واستقطاب النّخبة. بعبارة أخرى: الفضاء والنّخبة. وهذا يحيلنا إلى المعادلة المنشودة بين البنية التّحتيّة أي الفضاء المادّي من جهة، والبنية الفوقيّة كمورد فكري يضمن تأثيث الفضاء بالفعاليّات الثّقافيّة، من جهة أخرى. مفارقة بارزة وصادمة تعقّد حلّ المعادلة بالنّظر إلى تشكيلة المسؤوليّات التي عهدت إلى القائمين على شأن المدينة، نلاحظ أنّها تتكوّن أساسا من إداريّين، موظّفين بوزارة الشّؤون الثّقافيّة أو ملحقين بها قدوما من مؤسّسات أو وزارات أخرى عموميّة. والمتمعّن في الأمـر الحكـومي عدد 76 ، يلاحظ أنّ نصّه بنسبة الثّلاثة أرباع تقريبا يوثّق لتسميات الإداريّين الذين ستوكل إليهم إدارة مختلف المصالح المقرّرة في المدينة إضافة إلى التّعهّد ببرمجة الأنشطة الفنّيّة والثّقافيّة.

أيّ جوهر لهذه البرمجة؟ أيّ خطوط كبرى؟ أيّ مخطّطات؟ أيّ فلسفة؟

لا توجد في نصّ الأمر كلمة ولا إشارة للإجابة عن السّؤال الجوهريّ حول الدّروب والمسالك التي ستسلكها مدينة الثّقافة لتخليص الإبداع والثّقافة والفكر من ضيق الفضاء وإضاءته في ظروف احترافيّة تليق به ولا للخطوط الكبرى التي تحدّد مسالك هذا الإبداع.

وزير الشّؤون الثّقافيّة استعرض بعضا من النّقاط استحضرها الإعلام بإطناب واسع و مجملها يركّز على استحثاث إنجاز المدينة وعلى مواصفاتها كبنية تحتيّة وتأثيرها الإيجابي على خدمات الضّيافة سواء بالنّسبة إلى المنتجين والمبدعين أو بالنّسبة إلى الإعلاميّين. وفي هذا المعنى كانت له خلال الأسبوع الذي سبق حفل الافتتاح، جلسة مع مكتب نقابة الصّحافيّين أدّت إلى مذكّرة تفاهم حول تسهيل مهمّة الإعلاميّين وتمكينهم من ارتياد كافّة التّظاهرات الثّقافيّة بمجرّد الاستظهار ببطاقة الاحتراف الوطنيّة. ومن الملفت أنّ مسألة استقبال الصّحافيّين لم تكن مطروحة بقدر تستوجب اتّفاقا مع النّقابة. على أنّ ذلك يدخل في النّسق الاتّصالي للوزارة والذي يتمثّل في احتواء الرّأي العامّ من خلال احتواء الإعلام وسنّ امتيازات خاصّة به وتكليف البعض من عناصره بمهمّات اتّصاليّة وإعلاميّة كان جوهرها في ما يخصّ افتتاح مدينة الثّقافة الإبهار والإدهاش. من خلال الأرقام وأيضا من خلال المكانة التي سيوفّرها فضاء المدينة للعرض وللإبداع وللتّرفيه وللتّسوّق..وللجهات. إذا عدنا إلى وثيقة قرطاج،التي انبثقت عنها حكومة يوسف الشّاهد، التي أمضت على الأمر عدد76، نلاحظ أنّ مبدأ التّمييز الإيجابي الذي نصّت عليه الوثيقة، يضع هذا الأمر الحكومي في مأزق.

ففي الفصل 2 من الباب السّابع المتعلّق بإرساء سياسة خاصّة بالمدن والجماعات المحلّيّة، نقـرأ ما يلي: «تحديد مخطّط عاجل لتحسين الخدمات العموميّة والمحيط العمراني في كلّ المدن(ترميم وتطوير البنية الأساسيّة والفضـاءات الثّقـافيّة والشّبابيّة والرّياضيّة والمناطق الخضراء)كواحدة من أولويّات الحكومة الوطنيّة التي ستتشكّل بعد تاريخ الإعلان عن الوثيقة(13 جويلية 2016) بأقلّ من شهرين. والمعلوم أنّ حالة الحرب على الإرهاب التي أعلنت في أعلى مستوى في السّلطة، وعدت بأن تتّخذ من المسألة الثّقافيّة سلاحا محدّدا في مقاومة الفكر الظّلامي و الرّجعي. وإن يكن وزير الثّقافة فكّر في برنامج لإخراج الجهات من التّهميش الثّقافي، فإنّ هذا البرنامج الذي أطلق عليه مدن الفنون، لم يؤدّ أيّ دور في هذا المعنى بل إنّه عرّض السّاحات المخصّصة لذلك للتّهميش ولـ«التّدنيس»إذ حوّلت إلى مراكن للسّيّارات وملاعب للكرة وأحيانا لمصبّات...

وها هي مدينة الثّقافة تعلن عن تخصيص مسرح للجهات. لأنّ قاعات العرض في الجهات، المغطّاة منها والتي تشتغل في الهواء الطّلق، لم تحظ بتعجيل «ترميمها» كما أنّ دور الثّقافة التي يفوق عددها عدد الولايات حيث تعدّ بعض الولايات أكثر من واحدة، لا تمثّل موقعا في اهتمامات الوزير الحالي ولا من سبقه. كما أنّ المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة التي لا تتوفّر على قانونها الأساسي، أصبحت تمثّل رمزا للتّزكية ولإرضاء الولايات المهمّشة التي بعث فيها الوزير مراكز جهويّة جلّها يتخبّط في مشاكل ومصاعب هيكليّة ومادّيّة.

هذا المشهد البانورامي الذي وقع فيه الإسراع بإنجاز مدينة الثّقافة لا يمكن أن ينبئ بتأصّلها في تصوّر فكري عضوي وهو تصوّر لا يؤاخذ على وزير الشّؤون الثّقافيّة بالذّات التّقصير فيه. إذ يفترض ألّا يكون معنيّا بالمسألة قطعا لأنّ تصوّر مدينة للثّقافة ليس من المشمولات الحصريّة للإدارة الثّقافيّة وإنّما هي مهمّة لا تقدر على صياغة مفرداتها إلاّ الدّولة بتكليف مجلس أعلى للثّقافة يحدّد الأولويّات فيما يتعلّق بالبنى التّحتيّة ويطرح تصوّرا للثّقافة في علاقة عضويّة بحاجات المدينة للثّقافة، مع استحضار التحوّلات الحادثة في المجتمع حتّى تستعيد مدينة الثّقافة فضاءها المرتهن حاليّا من قبل مؤسّسات الوزارة وموظّفيها وتلتقي بالفاعلين الضّمنيّين فيها.

لم كلّ تلك العجلة في افتتاح المدينة ؟ ألم يكن من الجدير التّمهّل في إنجاز الفضاء و التّفكير في إنتاج عرض متكامل يجمع بين كلّ التّعبيرات الفنّيّة الوطنيّة عوض اللّجوء إلى العرض الأوكراني، لا لأنّه غير تونسي و لكن لأنّه العرض نفسه الذي افتتح الدّورة 52 لمهرجان قرطاج الدّولي بإدارة السّيّد محمّد زين العابدين الوزير الحالي؟ إلاّ إذا كتب لها أن تكون نسخة مطابقة لما أراده لها بن علي.

فهل لو شـاء القدر أن يمدّد في ولاية بن علي وأنجز مدينة الثّقافة على يديه، ستكون مغايرة لما نراه عليها اليوم؟ وهل ستكون للدّولة بدائل للأزمات التي تحفّ بالوضع الذي فتحت فيه مدينة الثّقافة؟

ف.ب.م.

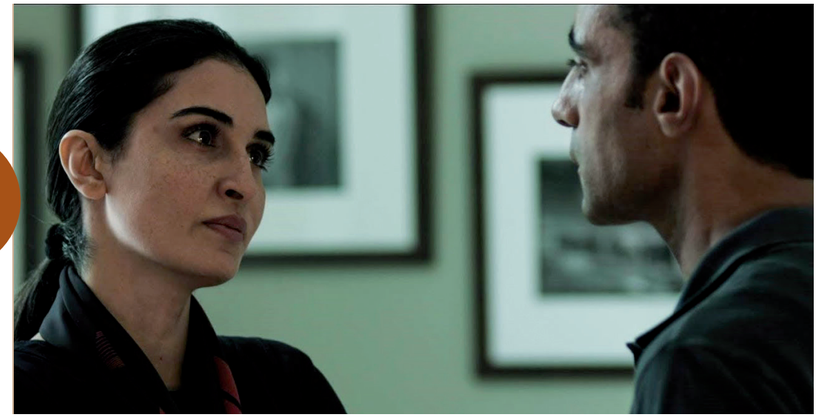

مـصـطـفـــى زاد

كوميـديـا سـوداء سـاخرة بنمـط إخـراج مسـرحـي

• بقلم د. محمّد ناظم الوسلاتي

«فيلم قبيح شوية في بلاد قبيحة برشا» هو الشّعار الدّعائي الذي اختاره المخرج السينمائي نضال شطا لشريطه الجديد «مصطفى زاد»، وهو ثالث أشرطته الروائية الطويلة خلال مسيرة سينمائية تميّزت بنزعة فطرية للفيلم الوثائقي وذلك نتيجة تكوينه الأكاديمي وشغفه بعالم البحار والغوص، الشيء الذي جعل منه أحد أبرز المتخصّصين في مجال التصوير تحت الماء في تونس والعالم العربي، ليبقى فلمه الوثائقي القصير «الأفق الضائع» (1984) أكثر أفلامه تتويجا على الصعيد الدولي (سبع جوائز دولية). «مصطفى زادّ» تم عرضه ضمن فعاليات المسابقة الرسمية لأيّام قرطاج السينمائية في دورتها الثامنة والعشرين، ومدّة عرضه لا تتجاوز 81 دقيقة وقد حاز على إثره بطل الفيلم الممثل «عبد المنعم شويّات» (مصطفى) جائزة أفضل أداء لدور رجالي بعد أن تقاسمت معه الممثلة «فاطمة ناصر» (فرح) دور البطولة بالإضافة إلى مشاركة الفنانيْن القديريْن «عيسى حرّاث» و«توفيق البحري». يذكر أن الفيلم استغرق تصويره سنتين بعد أن عهدت صياغة السيناريو للكاتبة «صوفيا حواص».

بعد «كول التراب» (2000) و«السراب الأخير»(2012) يـطـلّ علينـا المخرج نضال شطا بفيلم مختلف تماما من حيـث الشّكل والفكرة والمضمون...قصّة فيلم «مصطفى زاد» غير تقليدية في أسلوبها وفنياتها، حيث تدور أحداثها خلال يوم واحد في الليلة التي تسبق الانتخابات الرئاسية التونسية لسنـة 2014. بطل الفيلم هو شخص من عامّة الناس يحمل اسم «مصطفى زاد» في الأربعينيات من عمره، يشتغل كمقدّم برامج إذاعية في إحدى الإذاعات الخاصّة، متزوّج وأب لطفل مراهق، يجد نفسه مضطرّا لإيجاد التوازن في يوم غير عادي، لاح صعبا منذ بدايته نتيجة العديد من الانتكاسات. فبعد آلام ضرسه التي رافقته طيلة اليوم، وتفاقم مشاكله العائلية مع زوجته وابنه،وصولا إلى رفته من العمل ثمّ تعطّل سيارته نتيجة نفاذ الوقود، ومن ثمّ سحبها إلى مستودع الحجز البلدي وهو قابع بداخلها... تأخذ الأحداث منعطفـا جـديدا، وتكون هذه الحادثة بمثابة الحافز الذي سيدفعه إلى أن يثور على نفسه ويتمرّد على عجزه وخوفه...

إخراج سينمائي يراعي قواعد المسرح وتقاليده

طابع الفيلم وأسلوبه تمّ الإعلان عنهما في مقدّمة الفيلم، حيث اختار نضال شطا الاعتماد على صورة كاريكاتورية ناقدة من خلال استعراض مجموعة من الصور المتنوّعة التي سلّط من خلالها الضّوء على حالة الفوضى والاضطراب التي خلّفتها الثورة... كل ذلك على إيقاع الأغنية المرحة والمتفائلة «تبّعني نبنيو الدنيا زينة» للفنان الراحل الهادي الجويني.كما اختار مخرج العمل أن يصوّر الفيلم في الزمن الواقعي، أي خلال 24 ساعة اختزلها في81 دقيقة، وهو الزمن الذي تواترت فيه الأحداث المشؤومة حول شخصية «مصطفى زاد» الذي وجد نفسه متورّطا في وقائع قصّة سينمائية صيغت على شكل مسرحية قسّمت إلى ثمانية فصول، تخلّلتها عناوين فرعية حمل كلّ منها مقولة مأثورة أو جملة موحية أو بيت شعر، كانت مشفوعة كلّها بصوت «مصطفى زاد» وفيها إشارة واضحة في كلّ مرّة إلى الموضوع المحوري لكلّ فصل. وفي نفس السياق، اعتمد المخرج على وحدة المكان، حيث تمّ تصوير أغلب مشاهد الفيلم داخل سيارة مصطفى التي كانت مسرح الأحداث الرئيسية في البناء الدرامي للقصة، والذي استند بدوره على شخصية البطل الأوحد التي شكّلت مركز الثقل في فيلم اعتمد على عدد محدود من الممثلين والشخصيات الثانوية، ساعدت على التفاعل بين الأحداث وربطها ببعضها.

بالإضافة إلى سلطة المكان، برز استخدام اللقطات القريبة والمتوسّطة على حساب اللقطة العريضة التي تغطّي مجموع الديكور وذلك سعيا من المخرج إلى إظهار انفعالات الشخصيات الرئيسية وتعابيرها ليضعها في مواجهة مباشرة وعلى مسافة أقلّ قرباً من الشاشة حتّى تكون في طليعة اهتمامات المتفرّج، الشيء الذي أضفى بعدا مسرحيّا على العمل المبنيّ أساسا على عناصر الفنّ المسرحي (المكان، والزمان، والعقدة أو الحبكة الدرامية) والذي صاحبته رؤية إخراجية معاصرة ومتناغمة مع موجة العودة إلى المسرح في السينما الحديثة.

«مصطفى زاد» من صحفيّ مغمور إلى بطل مشهور...

قرار «مصطفى زاد» بأن يتمرّد على القوانين والأوضاع الاجتماعية السائدة شكّل نقطة التحوّل الرئيسية في الفيلم، حيث تحوّل هذا الأخير من شخصية سلبية وانهزامية إلى شخصيّة صدامية ومغامرة، لا تـعـرف معنى التنازل ولا تقبل التراجـع أو الالتفـاف. صحـوة مفاجئة دفعته لكسـر طـوق الخضوع والاستسلام الذي استمرّ لسنوات، بدءا بزوجته وأمّه ورئيسته في العمل، ومـرورا بعلاقته بالسلطة ومـؤسّسات الدولة. ثورة باطنيّة بحـث مـن خلالها بطل الفيلم عـن إزالة صدى الزمن ورواسب الماضي التي أرّقته وأغرقته في حلقة مفرغة من الضغوط النفسية، ليتحوّل من مواطن نكرة إلى أيقونة اجتماعية بعد أن وضـع تسجيل فيديو على الفيسبوك يشرح فيه موقفه من عدم تطبيق القانون وتفشّي الفساد والمحسوبيّة... الشّيء الذي أدّى إلى تعاطف عدد كبير من المواطنين مـع قضيّة «مـصطفى زاد» التي تحوّلت إلى قضيّة رأي عام، حازت على تغطية إعلامية كبيرة ومتابعة خاصّة من السلطات العليا.

من المؤكد أنّ الفيلم لا يعتمد على تطوّرات وأحداث غير متوقّعة، وذلك في غياب تامّ للإثارة والتّشويق، رغم أهمية فكرة السيناريو وطرافتها إلا أنّ عدم النّجاح في تجميع هذه العناصر السينمائية جعل إيقاع الأحداث رتيباً في بعض المشاهد التي كانت مملّة وثقيلة أحيانا على مستوى الانسياب البصري والصوتي، بالإضافة إلى ضعف وسطحية الحوار الذي كان بسيطا من الناحية الأدبية والفنية ودون المستوى لغويا وذلك نتيجة الإفراط في استعمال كلمات نابية وبذيئة طيلة الفيلم وفي أغلب المشاهد تقريبا، بقطع النظر عن التوظيف المبرّر حسب الظّرف المحيط بالمشهد أو بالشخصيات، الشّيء الذي أدّى إلى صياغة حوار سطحيّ هشّ.

لا بدّ أن نشير هـنـا إلى أنّ ظاهـرة استعمال الكلام البذيء في الأفلام السينمائية التونسية أصبحت تثير جدلا واسعا بين النقّاد السينمائيين والمتابعين للشأن الثقافي خاصّة بعد أن أضحت أداة تعبير أساسية في الأفلام بعد الثّورة، ولنا أن نتساءل إن كان هذا مجرّد توظيف فنّي أم تطبيع مع الكلام البذيء؟

نهاية الفيلم جاءت لتقدح في أعماقنا شرارة الوعي بضرورة الحفاظ على مكتسبات الثورة وذلك في إشارة إلى عملية اختطاف «مصطفى زاد» من قبل مجهولين بمجرّد خروجه من سيارته وإنهاء تمرّده المفتوح. في كلّ الأحوال يبقى فيلم «نضال شطا» عملاً فنيًّا منسجما مع الحراك الاجتماعي والواقع الزماني الذي نعيشه، رغم بعض الفجوات الدرامية.

م.ن.و.

شركة عقارية قمرت
شركة خفيّة الإسم رأس مالها 000 000 1 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
425194L/P/M/000 المعرّف الجبائي:
الهاتف: 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع

طلب عروض عدد 15 لسنة 2018

(عدد 18 شقة وعدد 16 محل تجاري بشاطئ خيرْ الدين الكرم)

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب شركة «لوفت للبعث العقاري» في عدد 18شقة وعدد 16محل تجارى كائنة بإقامة « الشاطئ الجميل» بخير الدّين الكرم قبالة الشاطئ (أقساط مستقلة) :

- الرّسوم العقاريه الأم : 154475 تونس و91290 تونس.
- العنوان: إقامة « الشاطئ الجميل» نهج إبن بطوطة، الضاحية الشمالية لمدينة تونس، خير الدين - الكرم، قبالة الشاطئ.
- العقارات موضوع التفويت : عدد 18 شقة وعدد 16 محل تجاري .

الوصف والموقع العام:

تقع إقامة « الشاطئ الجميل « بالضاحية الشمالية لمدينة تونس(خير الدين - الكرم، نهج إبن بطوطة) وتتكون من طابق سفلي (مأوى للسيارات) وطابق أرضي وميزانين تجاري يفتحان على ساحة داخلية مهيأة ورواق تجاري يطلان على البحر وتضم الإقامة عدد 07 طوابق سكنية موزعة على 06 أجنحة ولها مدخلان رئيسيان.

تقع الإقامة بالقرب من أهم المراكز الحيوية والترفيهية بالعاصمة وتطل مباشرة على البحر وعلى مدينتي قرطاج وسيدي بوسعيد .

الشقق						
القسط	الموقع	الشقة	النوع	العمارة	الطابق	المساحة Hors Œuvre التقريبية
I	إقامة « الشاطئ الجميل» كائنة بخير الدّين الكرم تطل مباشرة على الشاطئ	A - 4 - 4	S+4	A	الرابع	168 م²
II		A - 5 - 4	S+3		الخامس	168 م²
III		A - 6 - 4	S+3		السادس	168 م²
IV		A - 7 - 4	S+3		السابع	167 م²
V		A - 7 - 2	S+3 +مأوى سيارة عدد 12 بالطابق تحت الأرضي			134,5 م²
VI		B - 1 - 4	S+3	B	الأول	132 م²
VII		B - 2 - 1	S+3		الثاني	146 م²
VIII		B - 3 - 1	S+3		الثالث	149 م²
IX		B - 4 - 1	S+4		الرابع	166 م²
X		B - 5 - 1	S+4		الخامس	166 م²
XI		B - 7 - 1	S+4		السابع	153 م²
XII		C - 7 - 1	S+4	C	السابع	165 م²
XIII		E - 4 - 3	S+1	E	الرابع	77 م²
XIV		F - M - 1	S+3	F	Mezzanine	134 م²
XV		F - 1 - 1	S+3 +مأوى سيارة عدد 78بالطابق تحت الأرضي		الأول	211 م²
XVI		F - 1 - 2	S+4			182 م²
XVII		F - 2 - 3	S+4		الثاني	149 م²
XVIII		F - 7 - 1	S+4		السابع	170 م²

المحلات التجارية						
القسط	الموقع	محل تجاري رقم	الجناح	مساحة الطابق الأرضي	مساحة طابق Mezzanine	المساحة الجملية التقريبية
Com I	إقامة « الشاطئ الجميل» الطابق الأرضي وطابق Mezzanine كائنة بخير الدّين الكرم تفتح على الواجهة الرئيسية (نهج إبن بطوطة) والواجهة البحرية	N°1	A	45,19 م²	69,02 م²	**114,21 م²**
Com II		N°2		66,89 م²	82,49 م²	**149,38 م²**
Com III		N°3		40,4 م²	86,58 م²	**126,98 م²**
Com IV		N°4		138,88 م²	157,63 م²	**296,51 م²**
Com V		N°5		96,95 م²	227,78 م²	**324,73 م²**
Com VI		N°6		61,67 م²	77,05 م²	**138,72 م²**
Com VII		N°8		61,39 م²	76,51 م²	**137,9 م²**
Com VIII		N°9		102,41 م²	102,93 م²	**205,34 م²**
Com IX		N°10	B	108,56 م²	124,46 م²	**233,02 م²**
Com X		N°11		122,84 م²	144,62 م²	**267,46 م²**
Com XI		N°12		63,75 م²	205,15 م²	**268,9 م²**
Com XII		N°14	E	111,05 م²	197,96 م²	**309,01 م²**
Com XIII		N°15	F	91,2 م²	150,31 م²	**241,51 م²**
Com XIV		N°16		102,17 م²	101,74 م²	**203,91 م²**
Com XV		N°17-18-19		386,4 م²	289,19 م²	**675,59 م²**
Com XVI		N°20	C	95,54 م²	-	**95,54 م²**

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت» أو بمكتبها بمدينة سوسة.

ترجع ملكية العقارات موضوع طلب العروض الحالي الى شركة «**لوفت للبعث العقاري**» ، شركة مصادرة على ملك الدولة التونسية.
وتخضع إجراءات التفويت الجاريّة للأحكام والبنود الواردة بكراس الشّروط النّموذجي وبنص إعلان طلب العروض.

ويتعلّق البيع بالممتلكات على الحالة التي هي عليها كما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.
ويدعى المهتمّون بطلب العروض إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة، عند الإقتضاء وقبل المشاركة، إلى مزيد التّثبت من صبغة الممتلكات موضوع التّفويت ومن ضعيتها القانونيّة والفنّية.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقار الموضوع للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدّة من **02 افريل إلى 09 ماي 2018**. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى شركة «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحدّدة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة دينار (100 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 15 لسنة 2018

« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في كذلك ضمان المشاركة طبقا لـمقتضيات كراسات الشروط والـمحدّد جزافيا **بـمبلغ سبعة آلاف دينار تونسي (000 7 دت)** بالنّسبة **للأقساط من I إلى XVIII وعشرة آلاف دينار(10.000 د) بالنّسبة للأقساط من Com I إلى Com XVI.**
حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس **10 ماي 2018** على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).
ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمدّة **مائة وثمانون (180) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لـمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام:
(387 785 98 216+ أو000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

في كتاب الهادي البكوش «بكلّ صراحة»

ماسرّ إيقاف بورقيبة الابن يوم 7 نوفمبر؟ وهل تواطأ الخارج مع بن علي؟

صدر هذه الأيّام عن دار الجنوب للنشر كتاب باللغة الفرنسية من تأليف السيد الهادي البكّوش وعنوانه «En toute franchise» (بكلّ صراحة). هذا الكتاب الذي يقع في 552 صفحة هو من جنس المذكّرات، وفيه تمتزج الأحداث الشخصية التي طبعت حياة المؤلّف بأحداث تاريخية كان فاعلا فيها أو شاهدا عليها، وهو الذي ناضل في صفوف الشبيبة المدرسية ومنظمة الكشافة وانضمّ إلى الحزب الحرّ الدستوري منذ شبابه الأوّل وعرف جرّاء التزامه الوطني ويلات السّجن والإبعاد زمن الاستعمار الفرنسي، وهو الذي تبوّأ كذلك مناصب رفيعة في الحزب والدولة، فكان واليا على بنزرت وصفاقس وقابس في الستينات في فترة التعاضد قبل أن يحاكم مع أحمد بن صالح. لم تطل أقامته بالسجن حيث تولى مهام رئيس مدير عام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ولديوان الصيد البحري، ثمّ عيّن في ديوان الوزير الأول الهادي نويرة قبل أن يعمل في السلك الدبلوماسي، فنصلا عاما بليون وسفيرا ببارن ثمّ بالجزائر. وعاد إلى تونس في منتصف الثمانينات مديرا للحزب الاشتراكي الدستوري وما لبث أن دخل الحكومة، وزيرا للشؤون الاجتماعية. ساهم إلى جانب زين العابدين بن علي والحبيب عمار في الإطاحة ببورقيبة يوم 7 نوفمبر 1987 وعيّن في ذلك اليوم وزيرا أوّل.

اتّبع الهادي البكوش خطّا متسلسلا في سرد الأحداث والوقائع التي عاشها، فغلب الطابع التقريري على الكتاب الذي جاء في لغة سلسة ترغب في قراءته. اخترنا من الكتاب هذا المقتطف الذي يتحدّث فيه الهادي البكوش عن حادثة «عكّرت صفو»، يوم 7 نوفمبر 1987. كما يردّ المؤلّف على من كان يعتبر أنّ توطؤا أجنبيا كان وراء قلب نظام بورقيبة :

إيقاف الحبيب بورقيبة الابن

عكّرت حادثة صفوّ هذا اليوم الأوّل [7 نوفمبر 1987] وهو إيقاف الحبيب بورقيبة الابن لساعات على وجه الخطإ. وكإجراء وقائي وُضع تحت الإقامة الجبرية عدد من المسؤولين السياسيين الذين كان من شأنهم أن يقاوموا النظام الجديد، ومن بينهم محمّد الصيّاح ومحمود شرشور وحسن قاسم والهادي عطيّة. كان المعروف عنهم أنّهم حاولوا تنحية بن علي من الوزارة الأولى لتعويضه بمحمّد الصيّاح.

وقد أوقف أعوان الأمن معهم بورقيبة الابن، مبالغة منهم في التفاني أو لعلّهم نفّذوا تعليمات، وهو ما أثار دهشة أسرته التي اشتكت إليّ فكلّمت بن علي في الأمر فأجابني بأنّه لم يصدر تعليمات لإيقافه قائلا : «لعلّ الحبيب عمّار وزير الداخلية الجديد هو الذي أمر بذلك» فخاطبت هذا الأخير الذي نفى بدوره أن يكون وراء القرار. فأين الحقيقة، ياترى؟ إلى يومنا هذا، إنّي أجهلها.

ومهما يكن من أمر، تقرّر إطلاق سراحه في الحين. وفي اليوم نفسه رافقني في زيارته في بيته الحبيب عمّار وقد استقبلنا هو وزوجته بودّ وقدّمنا له اعتذاراتنا لما حصل. ما وقع كان في نظري خطأ، فكان من الواجب عدم المساس بنجل بورقيبة، احتراما له وتقديرا

ورقات من كتاب

لوالده. لم يكن في الحقيقة من سبب لذلك، فعلاقته بن علي كانت طيّبة.

هل كان هناك تواطؤ أجنبي؟

خلافا لبعض التصريحات، لم تشارك أيّ قوّة [أجنبيّة]، على حدّ علمي، في تغيير 7 نوفمبر. في الولايات المتحدة، كان تغيير النظام متوقّعا. والمرشّحون [لخلافة بورقيبة] كانوا عديدين، وقد ذُكر اسم بن علي من ضمن أسماء أخرى. وعلاقات هذا البلد بن علي لم تكن لا شخصيّة ولا وثيقة. وعندما كان مديرا للأمن، تعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، على غرار أسلافه وطبقا للسياسة العامّة للدولة. ولم يكن الأكثر حماسا [في هذا التعاون]. دعاه مدير الوكالة كاسيوس (Cassius) إلى زيارة أمريكا وأرسل إليه تذكرتي سفر بالطائرة له ولزوجته غير أنّه تهرّب ولم يسافر. قام لا محالة بتربّص دام أشهرا بالولايات المتحدة، شأنه شأن آغلب الضبّاط التونسيين، ولكنّه لم يقم مع الأمريكيين علاقات خاصّة. وكان لجاك شيراك، الوزير الأوّل الفرنسي آنذاك شكوك بشأن علاقات بن علي بالأمريكيين. ولمّا دعاني إلى زيارة باريس، لم يخفِ خشيته من تدخّل أمريكي يوم 7 نوفمبر وأسرّ بذلك إلى وزير الخارجية الجزائري أحمد طالب الإبراهيمي الذي طمأنه بقوله : «البكّوش مشارك في العملية، لم يكن هناك تدخّل أمريكي».

هناك من تحدّث عن تواطؤ إيطالي، أنا لا اعتقد ذلك. كانت إيطاليا، مع أندريوتي وكراكسي، تريد تعزيز حضورها في البلدان العربية، ولاسيّما، في المغرب العربي، وأكثرت من أمارات اهتمامها بتونس. وزار قائد مصالحها السريّة تونس والتقى بن علي ومنح مساعدة قيّمة للأمن التونسي في شكل تجهيزات وأموال، لمّا كان بن علي على رأسه. ولا شكّ أنّه أثار معه الوضع السياسي في البلاد، غير أنّه لم يفاتحه بشأن خلافته لبورقيبة.

أمّا الجزائر، فإنّها كانت تتابع الوضع من قرب. وتذرّع وزير الداخلية في حكومتها الهادي الخذيري بموضوع إعادة المفاوضات بخصوص رسم الحدود بين البلدين، للمجيء إلى تونس لاستطلاع ما يجري فيها، وتحادث مع بن علي بخصوص الوضع السياسي وضغوط بورقيبة من أجل إعادة محاكمة الأصوليين وإنزال أشدّ العقاب بالغنّوشي. وقبل عودته إلى بلاده، رافقته أنا وسفير بلاده، مسعود آيت شعلال إلى المطار. وبعد مبارحته تونس، جلست أكثر من ساعة مع السفير، وهو صديق قديم منذ أيّام باريس. كان يرى أنّ تونس تمرّ بفترة عصيبة وأنّ بورقيبة قد شاخ وهرم وأنّ الشّخص المناسب لخلافته هو محمّد الصيّاح.

هل كان ذلك رأيه الشخصي لأنّه كان صديق الصيّاح الذي تعامل معه في إطار الحركة الطلابية أم كان موقف الحكومة الجزائرية؟

هناك من تحدّث عن إقامة وسيلة بورقيبة في الجزائر لمدّة شهر، حيث قد تكون قد دعت إلى مساعدة الصيّاح على تبوّؤ منصب الوزير الأوّل. وقد يكون قد أعلمت محمّد الصيّاح بذلك بباريس أيّاما قليلة قبل التغيير. وإنّي اعتقد أنّه لو كان على الجزائر أن تتدخّل، لساندت محمّد الصيّاح. وعلى كلّ حال، فوجئ العربي بلخير في الجزائر ومسعود آيت شعلال في تونس، حينما أعلمتهما، يوم 7 نوفمبر، أنّ زين العابدين بن علي حلّ محلّ بورقيبة. ولمّا كنت أعرف ما يكنّه بن جديد من تقدير واحترام لبورقيبة، وما يحدوه من عزم على عدم التدخّل في الشؤون الداخلية التونسية، فإنّي استبعد فرضية مشاركته في عمل موجّه ضدّه.

تغيير السابع من نوفمبر مبادرة تونسية، دون أيّ تدخّل خارجي. مبرّراته وأهدافه تونسية ومنفّذوه تونسيون حصرا. أُنجزت هذه المبادرة دون صعوبة كبيرة لأنّ الشعب والإطارات سئموا نظاما جامدا لم يعد قادرًا على مواكبة تطوّر المجتمع. وعلى الرغم ممّا يحملونه من تقدير وإجلال للرئيس بورقيبة الذي قاد بإيمان وشجاعة وكفاءة ملحمة التحرير الوطني وأقام برجاحة عقل وحكمة ونجاعة صرح دولة ذات سيادة، عصريّة ومتطوّرة، كانوا يتمنّوْن رحيله عن منصب الرئاسة. ومع ذلك، لم يكونوا معارضين ولا غاضبين، بل كانوا إطارات حزبه ورجالا كوّنهم وأنصارا له ومريدين أوفياء. إنّهم باتوا غير مقتنعين بقدرته على البقاء في الحكم. (ترجمة ليدرز العربية).

الحساب والمنطق

سأل المدرّس: «من يذكر لي حيوانا برمائيّا؟» فأحجم كلّ التّلاميذ عن الجواب إلاّ عبد الجبّار وكان كسولا بطيء الفهم فقد رفع إصبعه عاليا حتّى كاد يلامس السّقف وصاح: «سيدي، سيدي، ضفدعة» فسُرَّ المعلّم وقال: «أحسنت يا عبد الجبّار. من يذكر لي حيوانا برمائيّا آخر؟» وكالعادة أحجم التّلاميذ إلاّ عبد الجبّار فقد لامس بإصبعه السّقف هذه المرّة وصاح: «سيدي، سيدي، ضفدعة أخرى!»...هذه هي التّعدّدية في هذه البلاد العجيبة! مثل ضفادع عبد الجبّار...ولعبد الجبّار في الفصل صولات وجولات. سألته مدرّسة الحساب: «بقي في بندقيّة الصّيّاد طلقة واحدة وكان أمامه على التّلّة ثلاثة أرانب. أطلقَ الطّلقة الوحيدة فأردى الأرنب السّمين صريعا. كم أرنبا بقي؟» فأجاب: «لا شيء. سيّدتي». قالت المعلّمة الرّصينة: «كيف هذا يا عبد الجبّار؟ ثلاثة ناقص واحد يساوي اثنين». قال الطّفل: «ولكن الأرنبين فرّا، سيّدتي. لم يبق على التّلّة شيء!». وتداركت المعلّمة الأمر فقالت: «حسابيّا، إجابتك مخطئة يا عبد الجبّار ومنطقيّا، مصيبة»...لذلك لا يتوافق الحساب والمنطق في كلّ الأحوال. أَضربُ دون سوء نيّة، مثلا على ذلك، نتائجَ الانتخابات، فالحساب لا يطابق الواقعَ دائما...هناك في هذه البلاد مَثَلٌ شعبي دارج يقول: «إلّي يحسب وحده يفضّو». فقد بقي للسّلطة بعد الانتخابات الأخيرة ما بقي من الأرانب على التّلّة في انتظار أن يحشوَ الصّيّاد بندقيته بطلقة أخرى... وسكّة المنطق هذه تقود أحيانا كثيرة إلى أمور خالية من كلّ منطق؛ كذلك الرّجل الذي وجد نفسه في يوم قائظ في محطّة المسافرين ينتظر الحافلة التي ستقلّه إلى بيته. وكان معه ثمن التّذكرة لا أكثر ولا أقلّ، ديناران اثنان فقط. وكان العطش قد أخذ منه مأخذه وكان باعة المبرّدات يذهبون ويجيئون. وكان المسؤولون عن المحطّة قد قطعوا الماء عن المسافرين لأشغال طارئة لا تقبل تأجيلا. وتردّد صاحبنا، أيركب الحافلة أم يقتني قنّينة كوكاكولا؟ وخلا إلى نفسه يجمع ويطرح فقال محدّثا ذاته. «لو ركبت الحافلة فسيكون هناك فرضيتان: أن أجد مقعدا شاغرا فأجلس أو لا أجد فأبقى واقفا. لو بقيت واقفا فلن يكون هناك مشكلة. لكن لو قعدت فسيكون هناك فرضيتان: أن أجلس إلى جانب رجل أو امرأة. لو جلست حذو رجل فلن يكون هناك مشكلة. لكن لو جلست حذو امرأة فسيكون هناك فرضيتان: تنفر منّي وأنفر منها أو تعجبني وأعجبها. لو نفرت منّي ونفرت منها فلن يكون هناك مشكلة. لكن لو أعجبتني وأعجبتها فسيكون هناك فرضيتان: لا نتزوّج أو نتزوّج. دون زواج، لن يكون هناك مشكلة ولكن لو تزوّجنا فسيكون هناك فرضيتان: لا نخلّف أو نخلّف. دون خلف، لن يكون هناك مشكلة ولكن لو خلّفنا فسيكون هناك فرضيتان: إمّا نخلّف بنتا أو ولدا. لو خلّفنا بنتا فلن يكون هناك مشكلة ولكن لو خلّفنا ولدا فسيكون هناك فرضيتان: إمّا أن يكون مستقيما أو منحرفا. إن استقام فلن يكون هناك مشكلة ولكن لو انحرف فسيكون هناك فرضيتان: أن يدمن الزّطلة أو لا يدمن. دون إدمان، لن يكون هناك مشكلة ولكن لو أدمن فسيكون هناك فرضيتان: إمّا يكون غنيّا في بسطة من العيش أو فقيرا معدما. لو صار غنيّا فلن يكون هناك مشكلة. أمّا إن صار معدما فسيكون هناك فرضيتان: يسرق منّي الدّينارين أو يقتلني. لو سرقني لن يكون هناك مشكلة ولكن لو قتلني! يقتلني؟ ماذا قلت؟ الأحسن أن أشرب قنّينة كوكاكولا وأعود إلى البيت راجلا.

هذا أحكمِ وأضمن للسّلامة... هكذا تستقرئ السّلطة في هذه البلاد عالمَ السّياسة والاقتصاد والاجتماع وتستشرف، وهكذا تعدّ عدّتها لقادم الأيّام وقل ربّي زدني علما...أنا أعذر السّلطة على ما هي فيه من اضطراب وارتباك فأحداث الأسابيع الأخيرة لم تترك للمسؤولين صغارهم وكبارهم مهلة من الزّمن يلتقطون فيها الأنفاس ويرتّبون عفش البيت فحدث لهم ما حدث لذلك السّائق الذي طلب شرطة النّجدة من هاتفه النّقّال ليقول باكيا شاكيا: «آلو، آلو، شرطة النّجدة؟ أنجدوني. أنا في سيّارتي أمام المسرح البلدي ولا أجد لا المقود ولا الزّمّارة ولا المكبح. السّرّاق لم يتركوا شيئا». وطمأنه الشّرطيّ: «امكث في سيّارتك. نحن قادمون حالاً» وعندما وصل أعوان الشّرطة وجدوا الرّجل جالسا في الكرسيّ الخلفيّ...الحكمة من الحكاية،إذا أردت أن تقود سيّارتك فاجلس في الكرسيّ الأمامي خلف المقود.

ص.و.